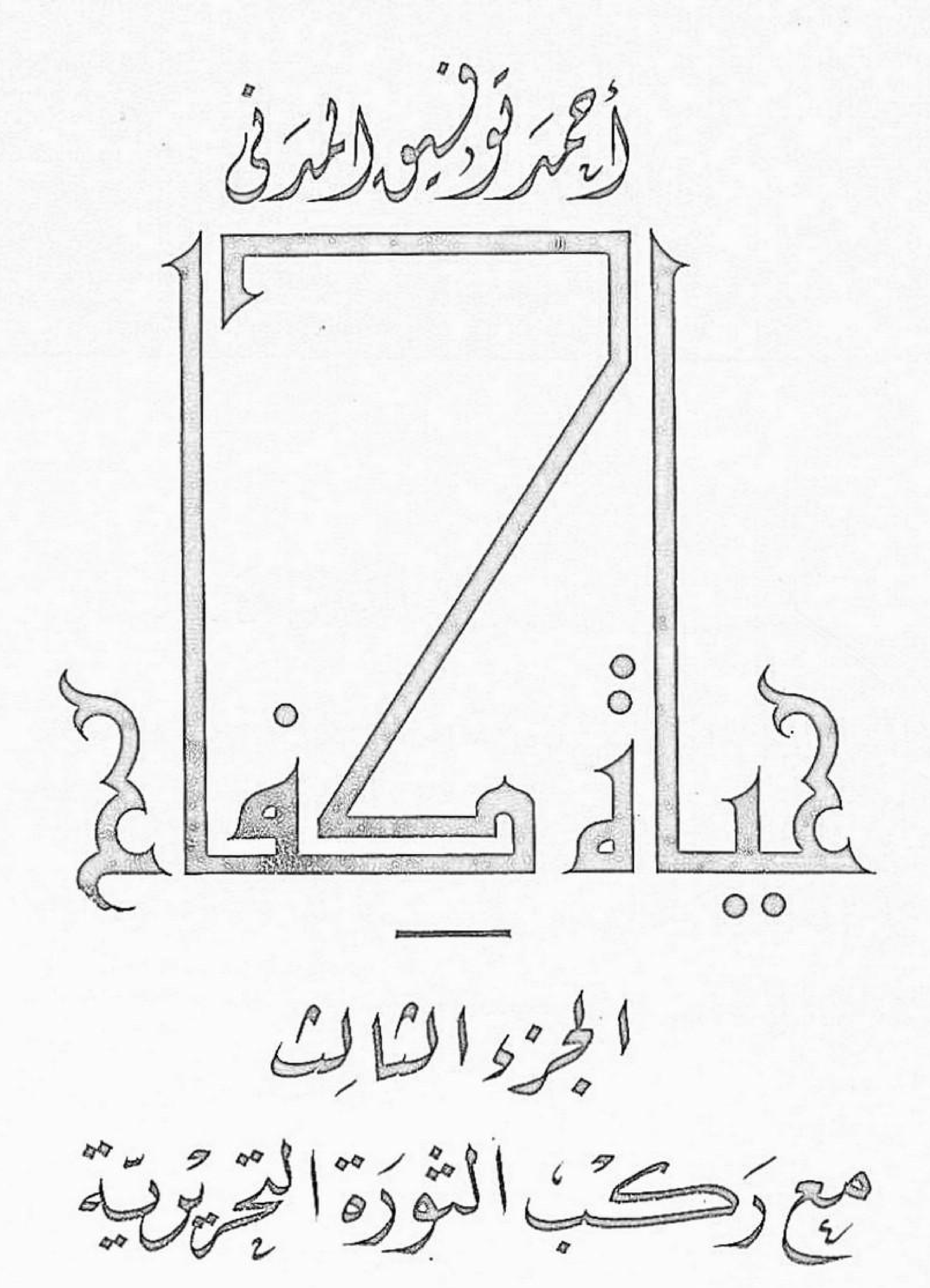


الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
الجزائر

© الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
رقم النشر 709 / 79
الجزائر 1982

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ
يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ
عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ
لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ

سُورَة المائدة، آيَة 53

القسم الأوّل

مع ركب الثورة بالعاصمة

اكليـــل مـــن نـــور

رضي الله عنهم وأرضاهم ، وبوأهم مقاعد صدق فى جنات النعيم .

أولئك هم الرجال ، أولئك هم الأبطال . أولئك هم الخالدون . ذكراهم منقوشة على صفحات القلوب المؤمنة .

جهادهم وتضحياتهم ومثاليتهم محفوظة فى سجل التاريخ المجيد .

هم الذين هيأوا المعركة . هم الذين وضعوا الخـطط . هم الذين جمعوا السلاح . هم الذين كتلوا حول معركة الجهاد والتضحية والفداء، ذلك الرعيل الأول من المجاهدين الأحرار ، الأبرار ، ودربوهم ، وزرعوا فى قلوبهم حمية الايمان والوطنية لا حمية الجاهلية ، حتى اذا جد الجد، ونفخ فى صور المعمعة العملاقة ، كانوا الشرارة الأولى التي انقضت على الاستعمار ، كأنها أعصار فيه نار . فاذا بالثورة العارمة تضطرم . واذا بالأرض قد زلزلت زلزالها ، وأخرجت أثقالها . فكـان الزلزال حربـا تحريرية ازدادت مع الأيام قوة وعنفا وانتشارا . وكانت الأثقال جموعا من الأبطال ، من كل الشعب ، من أعماق الشعب ، باعوا أرواحهم لله ، ووهبوا دمهم للوطن ، وتوالت فى ميادين التضحية والفداء مواكبهـم الحمراء القانية يتلو بعضها بعضا . لم يرهبهم الموت ، ولم يثن عزيمتهم التعذيب المذيب ، ولم تدخل الوحشية الارهابية الفظيعة هلعـا الى قلوبهم المطمئنة المؤمنة ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا . والله يحب الصابرين .

أولئــك هــم بنــاة المجــد
أولئــك هــم حمــاة الــوطــن
أولئــك هــم أبطــال الحــرية

أولئك هم الذين رفعوا بدمائهم ، وأرواحهم ، وعزائمهم ، جدار الاستقلال الرفيع ، الذي لا يزال ــ ولن يزال ــ يعلو ، حتى يناطح السحاب ويبلغ السماك الأعزل .

هذا أكليل صيغ من نور الله ، وفيض الوجدان ، أضعه فوق أجداثكم الطاهرة ، يا رجال (المنظمة السرية) .O. S ويا رجال وشباب ونساء الشعب ليذكركم الوطن ، وليحفظ أمجادكم التاريخ ، ولتكن ذكراكم الخالدة ، مشعلا نورانيا ، قدسيا ، يهدي من بعدكم الأجيال تتلو الأجيال ، نحو اقامة البناء الشامخ المعلى ، نحو دعم أسس المجد المؤثل ، نحو صون الحرية الغالية ، نحو رفع راية الاستقلال أعلى عليين .

الله أكبر . لكم ، ولشهداء معركة الحرية ، ولضحايا الوطن العملاق ، المجد ، والعزة ، والخلود . (1)

---

(1) منهم لجنة الاثنين والعشرين التي تشكلت خلال شهر جوان من سنة 1954 ، بعد أن حلت السلطة العسكرية الفرنسية المنظمة السرية وبطشت برجالها ، لكنهم لم يفقدوا قوتهم المعنوية ، ولم تخمد روحهم الثورية ، فاجتمعت منهم هذه اللجنة ، وأعلنت قيام « جبهة التحرير الوطني الجزائري » وكانوا النواة الأولى للثورة العملاقة ، وهم :

1 ــ من عمالة قسنطينة : رشيد ملاح ، سعيد بوعلي ، يوسف حداد وكليهم من الميلية .

2 ــ من عمالة الجزائر : بوعجاج الزبير ، عثمان بلــوزداد ، محمــد المرزوقي ، عبد القادر العمودي (بسكرة) .

3 ــ من عمالة وهران : العربي بن المهيدي : عين مليلة . عبد الحفيظ بو الصوف : ميلة . مشاطي محمد قسنطينة ، رمضان بن عبد الملك : قسنطينة .

4 ــ من المناضلين بفرنسا : محمد بوضياف مسيلة ، ديدوش مراد : ج .

5 ــ من اللجنة المركزية لحزب انتصار الحريات الديمقراطية : مصطفى بن بو العيد من أريس .

6 ــ من الأحرار الذين التجأوا الى البادية والجبال :

سويداني بوجمعة	من قالمة
يوسف زيغود	من السمندو
الأخضر بن طوبال	من ميلة
مصطفى بن عودة	من عنابة
باجي المختار	من سوق أهراس
أحمد بو شايب	من عين تموشنت
رابح بيطاط	عين كرمة
حباشي عبد السلام	من عنابة

يضاف اليهم الــوفد المستقــر بالقــاهرة من أجل الاعداد للثورة : أحمد بن بلة من مغنية ، حسين آيت أحمد من عين الحمام ، محمد خيضر من الجزائر .

أما لجنة « الستة » المديرة فهي مؤلفة من :

مصطفى بن بولعيد

محمد بوضياف

العربي بن مهيدي
مراد ديدوش
رابح بيطاط
كريم بلقاسم

يضاف اليهم وفد القاهرة :

أحمد بن بلة
حسين آيت أحمد
محمد خيضر

ثـلاث كلمـــات

قبــل الــدخـول فى المـوضـوع

الأولى : هي اعتذار عن تأخر صدور هذا الجزء من الكتاب ، فقـد كان موعده سنة 1979 ، ونحن الآن فى موفى سنة 1981 . أقول لاخوتي ولأصدقائي أن الكتاب كان موجودا منذ صدور الجزء الثاني ، وقدمتـه الشركة الوطنية للنشر والتوزيع أواسط سنة 1979 للمطبعة التي بذلت جهدا محمودا فى سبيل انجازه . وهيأت للطبع ثمانين صفحة منه خلال شهر . الا أن اشارة سامية قد صدرت الي ، ممن لم تكن من المصلحة ولا من الحكمة مخالفته ، بوجوب تأجيل صدور الـكتاب ، لأن الحالـة السياسية لم تكن تسمح بنشره تلك الأيام . وهكذا سحبناه يومئذ من المطبعة ، وتحملت الشركة أعباء النفقات التي صرفت الى تلك الساعة . واتهمني بعض الاخوان والأصدقاء يومئذ بالتراخي والتهـاون ، خلافـا لعادتي التي ألفوها منذ ما يزيد عن الستين سنة ، أي منذ اصدار أول كتاب لي ، وكنت أسكت على مضض ، الى أن أشرقت علينا أنوار السياسة الجديدة ، وتغير السلوك القديم ، فقدمنا من جديد مسودة الكتاب الـى المطبعة ، وها هو بين أيديكم الكريمة ، يختال فى ثوبه القشيب ، والحمدلله رب العالمين ، وسيتلوه بعد حين الجزء الرابع والاخير ، سواء أكنت حيا أو كنت قد لبيت داعي الله ، راضيا مرضيا .

الثانية : أقولها صراحة ، وأسجلها أمام الجميع : انني وان كنت هيأت للثورة منذ أمد بعيد ، لم اكن قائدا من قادتها ، ولا بطلا من أبطالها ، بل كنت خادما لها ، مطيعا لأوامرها منذ يومها الأول ، منفذا لارادتهـا بكل ما أوتيت من قوة ومن ايمان ، سواء كان ذلك فى أرض الوطن ، أو فى مختلف السفارات ، الى يومنا هذا ، والى أن القى الله ، لم أكن اطلاقا ، أبدا ، أعمل لفائدة شخصي ، أو أسعى وراء سمعة زائفة ، أو أمهـد الطريق لمنصب أتبوأه ، فان كنت خلال هذا الجزء من كتابي ، أو خلال ما سبقه وما سيتبعه بحول الله ، أستعمل عبارات : قلت ـ فعلت ـ رأيت ـ سمعت ، فتلك هي العبارات التي يستعملها الشاهد وهو يدلي بشهادته ويقول : ما شهدنا الا بما علمنا .. وهل يمكن لرجل من معاوني

الثورة العملاقة ، مهما كانت أعماله ، أن يفاخر بها ، وهو يعلم أن يوما واحدا من أيام الشهداء الابرار ، والمعذبين الاحرار ، هو أعظم عند الله وعند الأمة ، وفي سجل التاريخ مما يكون قد بذله انسان مهما كان ، في اعانة ذلك المجاهد الشهيد .

الثالثة : انني ، طيلة أيام كفاحي في سبيل الحرية والاستقلال ، وخاصة أيام حربنا التحريرية الكبرى ، لم أشترك أصلا ، أبدا ، في أي دسيسة أو مؤامرة تحاك من قبل فرد أو جماعة ، ضد فرد أو جماعة أخرى ، ولم أسهم اطلاقا ، من قريب أو بعيد ، في أي فتنة كبيرة أو صغيرة من الفتن المتعددة الخبيثة التي كان يوقد البعض نارها محاولة انتقام من خصوم ، أو طمعا في تسنم مناصب الرئاسة ، أو لتهيئة الوصول الى كراسي الحكم والسلطة بعد الاستقلال . كنت بعيدا جدا عن قضايا عباس لغرور ، والعموري ، وعبد الحي ، ومصطفى الاكحل ، والعشرات من أضرابهم ، كما كنت بعيدا جدا عن تكتلات تقع داخل الوفد الخارجي ، وعن خصومات بلغت من العنف مبلغا عظيما مؤلما ، بين بعض رجال الحكومة المؤقتة ، وبين فئات من أعضاء المجلس الوطني الاول للثورة الجزائرية ، أو بين أفراد من رجال الحكومة الاستقلالية الاولى . كنت ، والله نعم الشاهد الرقيب ، لا أقول قولا ، ولا أباشر عملا ، الا وأنا أهدف منه خدمة الثورة الشعبية العملاقة وهي كل لا يتجزأ ، والسعي لتحقيق الحرية الكاملة ، والاستقلال التام للوطن المجاهد النبيل . ولقد سبب لي هـذا الموقف صعوبات جمة ، اذ أن الذين ما كنت أقف معهم ، كانوا يظنون أو يعتقدون انني أقف مع خصومهم ، وما كنت أقف الا مع الحق ، ومع العمل الصالح ، وأسعى جاهدا في شق الطريق المستقيم الذي نجد في نهايته حرية الشعب ، ونهاية الاستعمار ، واستقلال الوطن .

فالقارىء الكريم لا يجد خلال كتابي هذا ، ذكرا لتلك الدسائس وتلك الفتن ، على أنها جزء من الثورة ، لا يجب أن ينساه الذين سيؤرخون اليوم او غدا هذه الثورة العملاقة الوحيدة من نوعها في العالم ، ولن يضير الثورة أن يكتب الكتاب بطولاتها ، وأن يصوروا جهادها ، وعذابها ، وآلامها ، وأن يذكروا الى جانب ذلك وجهها الآخر ، وانما هي ثورة رجال ، لا ثورة ملائكة ، واذا قارنا بين حربنا التحريرية الكبرى ، وبين الحروب التحريرية الكبرى في العالم ، قديما وحديثا ، وجدنا ثورتنا أنظفها وأطهرها ، وما دام الانتصار التام قد كلل هامتها بتاج من العزة والفخار ، فرفعت الاعلام ، وحققت الاستقلال التام ، وأنشأت الدولة . وسارت قدما في سبيل النهضة الكبرى ، فليس يضير شيئا أن تذكر الى جانب محاسنها العظيمة ، عيوبها القليلة ، والكمال لله .

والآن ، لندخل صلب الموضوع ، مبتدئين من حيث انتهينا في الجزء الثاني .

أ . ت . م

مدخل للثــورة الكبرى

كان حزب انتصار الحريات الديموقراطية مهيمنا على الحياة العامة السياسية ببلادنا هيمنة تكاد تكون مطلقة . كان يتزاحم مع حزب البيـان المؤلف من الطبقـة المثقفة ، وكـان يتنافس مع جمعية العلماء التي ضمت أغلب العناصر الاسلامية الصميمة المثقفة والعامة ، لكـن الهيمنة السياسية كانت لحزب الانتصار ، اذ أن كلمة « الاستقـلال » الرهيبة التي كان ينادي بها عاليا ، والتي كان يسعى جاهدا لنشرهـا واقرارها ، قد جمعت حوله كل متعطش للحرية ، كـل ناقـم عـلى الاستعمار ، كل راغب فى الثورة والانتقاض . وتأكيدا لقد كان ذلك الحزب يستطيع أن يكون حزب الأمة جمعاء ، دون منافس أصلا ، لولا ما كان ينتقد على «زعامته» من عنجهية ومن سير داخلي أهوج ، ولولا ما كان متناقلا عن بعض رجاله من سوء السلوك وربما نوع من التحيل وابتزاز الأموال ، والدعوة الى سبيل الاستقلال بالطـرق المستهجنـة والوسائل السخيفة . الذي أقوله وأؤكده ، بطهارة وباخلاص ، أن هذا الحزب كان عظيما حقا ، وأنه جاهد فى سبيل الاستقلال جهـادا مريرا قاسيا . وأن ضحاياه الذين يفوق عددهم الحصر ، قد فتحوا أمام الشعب كله سبيل التضحية والفداء وكانوا معالم الطريق الذي قادنا نحو الثورة المطهرة ، ونحو الحرية الغالية ، ونحو الاستقلال العزيز . الا أنني أقول مخلصا وفى صراحة عميقة الأساس ، ان قيادته كـانت بسيطـة ، دون مستوى المسؤوليات ، ودون مستوى الأحداث .

كان زعيمه ، مصالي الحاج أحمد ، عاميا أو قريبا من العامية ، وقد أراد أن يغطي نقصه الثقافي برداء مادي بحت ، فأطال شعر رأسه الى أن تهدل فوق كتفيه ، وأطال شعر لحيته الى أن غطى الجزء الأعلى من صدره ، ووضع فوق كل ذلك طربوشا ضخما . وكان طويل القامة ، مائلا الى البدانة . فكانت تلك الصورة المسرحية ، مع ترديد كلمات : الاستقلال ، الحرية ، الفداء ، التضحية مستجلبة للأنظار ، متغلغلة الى أعماق الدهماء . كان يأمر فيطاع ، ويقول فيسمع ، ولا أنسى أياما كنت أقابله أثناءها ، عندما كان مستقرا في قرية «بوزريعة» المشرفة على العاصمة ، وكنت في أول مقابلاتي معه أسعى لربط الصلة بين حزب الاستقلال السياسي ، وبين جمعية العلماء التي جددت الدين ورفعت معالمه ، ونشرت الى الحد الأقصى دعوته ، وبشرت بجزائر جديدة على أساس الحرية والعروبة والاسلام ، لكنني خرجت من مذكراتي بنتيجة سلبية مؤلمة : ان هذا الرجل الذي قاوم ، وضحى وسجن ، ونكب وأبعد ، وجابه الموت جهارا ، لا يصلح لقيادة ، ولا يستطيع الا مع العامة الدهماء زعامة ، وأنه لا يمكن أصلا أن يحافظ على مكانته ، اذا ما تسربت للحزب طائفة مثقفة ، ونخبة صالحة تعرف كيف تتصرف ، وتعرف كيف تدير دفة السياسة . وكان خطابه أمام الصحفيين المصريين وثلة من كبراء الأحزاب والهيئات ، داعيا لي أن أتنصل من الاتصال به ، فابتعدت عنه نهائيا ، ولم أره بعد ذلك أبدا ، وقلت في نفسي ، وقلت لأصحابي : ان فكرة الحزب عالية ، رفيعة مقدسة ، وان دعوته صالحة مستقيمة ، لكن هذه الثمرة لا تؤتي أكلها الا اذا غيرت قيادتها ، ووضعت على رأسها طائفة مستنيرة صالحة .

لكنني لا أنسى ، ولا يجب أن أنسى ، وأكون مجرما اذا نسيت أن هذه الزعامة الخائبة ، وهذه القيادة المهلهلة ، قد ابتكرت نظاما غريبا ، وشكلت هيأة من أعجب ما ألف في عالم المقاومة من هيآت : هو «المنظمة السرية» أو ما يدعونه (O. S.) كانت هذه الهيأة المطهرة لا تهتم

بالسياسة انما تهتم بالثورة وتهيىء السلاح وتجند الرجال الصالحين القادرين . وتستعد وتعد الشعب لليوم العظيم . كان على رأس هذه المنظمة السرية رجال من أمثال : أحمد بن بلة ، ومحمد بوضياف وحسين آيت أحمد ، ورابح بيطاط ، وعبد الحفيظ بوالصوف ، رجال آمنوا بالوطن وحدة ، وبالاستقلال مبدأ ، وبالثورة سبيلا ، وبطريق الدم والضحايا مبلغا للأهداف ، موصلا للحرية .

ضربت الهيأة هيأة المنظمة السرية ، مرة أولى سنة 1950 فاستشهد منها من استشهد وسجن منها من سجن ، وشرد منها من شرد . لكنها ما لبثت أن عادت للظهور من جديد . قوية متماسكة ، هادئة . فأعادت التنظيم أقوى وأعتى مما كان . وجمعت اليها فئة الأحرار الأبرار من المجاهدين . وصمدت وصبرت وصابرت الى أن كانت مشرق النور ، ورائد الطريق ، ومحقق الأمل ، وفاتح أبواب الثورة الكبرى على مصراعيه .

تحقق الأمل الذي كان يخامر قلوبنا فى تطهر حزب انتصار الحريات الديموقراطية ، فقد دخلته فى آخر عهده طائفة من الرجال المفكرين المثقفين الصالحين ، وانتخب هؤلاء الرجال ضمن اللجنة المركزية . كانوا يؤمنون بالفكرة ولا يؤمنون بالزعامة المعصومة ، كانوا يؤمنون بالشورى والمفاوضة الصالحة ولا يؤمنون بارادة تلقى جزافا ، ولا أوامر تصدر فتطاع . وما عتم الحزب بعدها أن انقسم على نفسه . فئة تثور على مصالي وعلى أوامره ، وفئة تبقى مع الزعيم ، كأنه مفروض من الله ، أو كأنه صوت القدر ، وتنادي برئاسته مدى الحياة .

وذاق الحزب وذاق الشعب من أثر ذلك الخلاف أوصابا وآلاما ، وانقلبت القضية الى مهاترات ، ثم مضاربات ، ثم مصادمات جماعية يخرج منها البعض جريحا ويخرج منها البعض مكدوما .

أما جماعة المنظمة السرية ومن آزرها من الرجال ، فقد كانت أرسلت للقاهرة وفدا ، قوامه أحمد بن بلة ومحمد خيضر ومحمد يزيد ، وحسين الأحول وقابلت بواسطة الأخ فتحي الديب من ادارة المخابرات العسكرية السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، فأطلعته على منهاجها الثوري وعزمها على ايقاد نار الثورة بعد أن اجتمعت أولا وقبل سفر الوفد ، بقرية « زدين » ، وقررت أنه قد جاءت ساعة القدر ، وأن الحرب التحريرية قد آن أوانها . ثم اجتمع « التسعة (1) » مرة أخرى فى أوروبا . واتخذوا القرار النهائي وأعلنوا تأسيس « اللجنة الثورية للاتحاد والعمل » وحرروا نداءها وعينوا للثورة يومها وساعتها .

كشفوا كل ذلك للرئيس جمال عبد الناصر . وقد صرح لي بنفسه من بعد ، فى حديث شخصي معه خلال شهر أكتوبر من سنة 1956 « أنه درس بغاية الاهتمام ما قاله له الوفد . وأنه طلب من الوفد مهلة تفكير ثلاثة أيام . قال : وكنت أخذت فكرة سيئة عن الحركة الجزائرية ، واستهجنت الطريقة التي زعم مصالي أنه يقود بها الشعب للاستقلال . لقد كان تفكيرا عقيما وطريقة سخيفة . لكنني بعد اطلاعي على منهاج الوفد ، وتأملي العميق فى طريقة عمله ، وتهيئة مراحله ، ارتحت له ، واطمأنت نفسي لنتائجه ، وعلمت أنها عملية ناجحة لا محالة ، وعاد الي الوفد فصارحته برأيي وتداولنا طويلا ، وحددنا امكانياتنا . ووعدتهم أنني أكون معهم الى النهاية ، وأمدهم حالا بما يمكن من سلاح خفيف ، وأن أسعى شخصيا لدى الدول العربية وخاصة السعودية ، لكي تمد الحركة بالمال . وهكذا أمرت الأخ فتحي ، والأخ عزت سليمان بأن يكونا مع الوفد دوما ممثلين لي شخصيا . وكنت أكتم الأمر على عدد من الوزراء الذين حولي ، خوفا من تسرب السر ، واسراع فرنسا الى ضرب الحركة

---

(1) مصطفى بن بولعيد ـ محمد العربي بن مهيدي ـ ديدوش مراد ـ أحمد بن بلة ـ محمد خيضر ـ رابح بيطاط ـ كريم بلقاسم ـ حسين آيت أحمد ـ محمد بوضياف .

قبل بروزها . ثم ان السعودية قررت الاستجابة بدفع مائة ألف جنيه (100 مليون فرنك) فأمرنا بأن ترسلها الى اسبانيا حيث محمد بوضياف وأعطيت الأمر للملحقين العسكريين المصريين أن يكونوا ــ أينما كانوا ــ فى خدمة الحركة الجزائرية . واستمرت الأعمال الى يومنا هذا كما قصه عليك الأخ فتحي . وبعثنا بالأسلحة مما عندنا ، ومما اشتريناه من الخارج ، الى رجال الثورة .

هذا ما قاله لي عبد الناصر ، بصفة تكاد تكون حرفية .

وجاء يوم غرة نفامبر الأغر ، فخفتت الألسنة ، ونطقت الأسنة ، وتقدم الشعب فى مواكب رهيبة يشق صفوف الموت ليستخلص من ورائها حياة العزة والكرامة والاستقلال الرفيع . كان ذلك تحت قيادة « لجنة الثورة للاتحاد والعمل (2) » التي أسست نفسها بعد ذلك بقليل « جبهة التحرير الوطني الجزائري » .

العلمـــاء والثـــورة

أسلفت فى ما مضى من حديث ، أي آخر الجزء الثاني ، أنني كنت قد اتصلت فى باتنة أيام احتفالنا بافتتاح مدرستها الكبرى ، برجل من أكبر رجال الحركة الجديدة ، وعلمت منه فى سرية تامة أن نبوءتي فيما يتعلق بالثورة المدوية ستتحقق عما قريب ، وأنه سيمدني أولا بأول ، بكل المعلومات المتعلقة بالحدث العظيم ، حتى أسعى جاهدا ، مع اخواني الأبرار، بكل ما فى أنفسنا من قوة وايمان ، لربط جمعية العلماء بموكب الثورة ، كي تعمل فى دائرتها الخاصة وبواسطة نظامها المحكم ، على نشر دعوة الثورة وامدادها بالرجال وبالأموال . كما تسلمت منه أخيرا قبيل غرة نفامبر بقليل ، منشور الثورة السري . وعلمت بسيقاتها المعلوم .

C.R.U.A (1)

بادرت حالا ، بالاتفاق مع الأخ المجاهد الكبير الشيخ محمد خير الدين، بارسال الدعوة المستعجلة لجمع المجلس الاداري لجماعة العلماء المسلمين على أن ينعقد بقسنطينة فى معهد عبد الحميد ابن باديس ، يوم غرة نفامبر 1954 على الساعة العاشرة صباحا من أجل انجاز مذاكراتنا حول قرارات سبتمبر .

ولهذه القرارات قصة ، سأوردها فى ايجاز عظيم .

قرارات سبتمبر :

كان الشيخ العربي التبسي رحمه الله ، على علمه الواسع ، وتقـواه العظيم ، وتأثيره التأثير الاصلاحي الكبير فى العامة ، كان معتدا بنفسه ، متصلبا لرأيه ، سريع الغضب .

وذهب يوما الى الحج فى موسم سنة 1953 . وكان يعتزم رفع يـد الابراهيمي عن الطلبة فى القاهرة ، ويغتنم فرصة استياء سـاد البعثـة الطلابية التي يجاوز عددها المائة من جراء قلة المدد لكي يأخذ بين يديـه قضية الطلبة ومصيرهم . وكانت أنباء مساعيه ترد علينا تباعا من طلبتنا الأبرار الذين ضاقوا بذلك ذرعا ، ورأوا فيه بروز قرون فتنة عمياء ، فما كان منا يومئذ الا أن بعثنا برقية باسم مكتب الجمعية للرئيس الابراهيمي ، نجدد له ثقتنا ، ونكلفه بايجاد حل موفق لقضية الطلبة ، فأسقط فى يد الأستاذ العربي رحمه الله ، وحفظها لنا سيئة نحوه ومسعى شخصيا ضده .

اغتنمنا فرصة غيابه لموسم الحج ، وجمعنا المجلس الاداري ، تحت رئاسة الشيخ محمد خير الدين ، وعرضنا على المجلس منهاجا اصلاحيا كاملا ، يضمن سير الجمعية فى طريقها المستقيم ، وينظم أموالها دخـلا وصرفا ، ويضع طبقات للمعلمين والمديرين ، ويقرر لهم مرتبات ثابتة كما

يقرر مرتبات قارة للعاملين ، ضمن اطار الجمعية ، الى غير ذلك من القرارات (1) . لبى أغلب الجماعة الدعوة ، وأموا ساحة معهد الأمة معهد عبد الحميد ابن باديس رحمه الله ، وفوجيء الجماعة بما نقلته الأنباء عن اشتعال نار الثورة ، وكان علينا أن نتداول فى ذلك الأمر الى جانب أعمالنا الادارية ، ومعالجة وضعيتنا ، وموقف جمعية العلماء المسلمين تجاه الثورة كان يستحق كل عناية وكل امعان ، فنحن من جهة عامة كنا طليعة الأمة المجاهدة فى سبيل دينها ولغتها ، وفى سبيل المحافظة على التقاليد الاسلامية الصحيحة ، واحيائها ، ومحاربة الآفات الاجتماعية التي تسربت الى طبقات من العامة بواسطة ما بثه الاستعمار الخبيث من جراثيم الفساد ، ومقاومة أساليب طرقية كادت تخرج الدين الاسلامي الحنيف عن جادته المثلى ، وتحود به عن طريق الله المستقيم .

ونجحت الجمعية والحمد لله نجاحا ملحوظا فى معمعتها الاصلاحية ، وذلك باحياء فريضة الوعظ والارشاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فى المساجد والنوادي ، والاجتماعات الخاصة والعامة ، وبث الوعي الاجتماعي فى كل طبقات الشعب الجزائري ، ومحاربة التفرقة العنصرية والطائفية ، باعتبار ان الاسلام الحنيف دين وحدة عامة ، أوجدت اخوة جديدة فى الدنيا هي اخوة الاسلام ، فالله سبحانه وتعالى يقول فى محكم تنزيله : « انما المؤمنون اخوة » ، وتقول آية أخرى من آيات الله البينات « وان هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون » . وكان نجاحنا والحمد لله عظيما فى هذا الميدان الحيوي ، وأصبحنا لا نرى فى الجزائر الا ما شذ ــ أمة واحدة ، دينها الاسلام ، ولغتها العربية ، وطنها الجزائر المجاهــدة .

---

1) أنظر التقرير الذي بعثت به للاستاذ الرئيس الابراهيمي فى القاهرة ، وقد نشره الاستاذ الكبير أبو القاسم سعد الله فى العدد الثامن من مجلة التاريخ .

أما من جهة أخرى فقد كانت الجمعية المباركة ، منذ يوم تأسيسها الى ذلك اليوم ، يوم غرة نوفمبر 1954 ، تبشر بمستقبل الجزائر الحر السعيد ، وتدعو الناس الى اقتفاء أثر الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأثر الرعيل الاول من المؤمنين الصادقين ، الذين جاهدوا جهاد الأبطال في سبيل نشر الدين وتعاليمه وفضائله ، وبث أنوار العلم والمعرفة الصادقة بين الناس ، وأشرقت بواسطة جهادهم العنيف أنوار مدنية ساطعة أخرجت العالم كله من طور الى طور .

هكذا كان سير الجمعية الى ذلك اليوم ، وهي تذكر انها اصطدمت أثناء سيرها هذا ، بحزب الشعب أولا ، وبحزب انتصـــار الحريـــات الديمقراطية ــ وهو نفس الحزب ــ ثانيا ، بل تطور ذلك التصادم المؤلم الى مبارزة صحفية حادة شارك فيها شيخنا العظيم محمد البشير الابراهيمي مشاركة حادة بقلمه النادر الوجود .

فكيف يكون موقف الجمعية من الثورة المعلنة ، والذين أعلنوها هم قسم من الحزب المذكور ؟ نعم ، ان منشور الثورة يقول بنص صريح ، انها ثورة شعبية لا حزبية ، وان قيادتها جماعية لا فردية ، وانها تدعو الأمة الجزائرية قاطبة للمشاركة ببذل الدم والسخاء بالأرواح من أجل تحقيق الاستقلال الوطني الذي يعيد لكل ذي حق حقه .

وهنالك قضية معهد عبد الحميد ابن باديس ، ودار طلبته الفارهة التي أسستها الأمة بفيض من مالها ، كي يجد بها طلابنا النابهون المسكن الصالح ، والغذاء النافع ، فيقبلون على الاكتراع من مناهل العلم والمعرفة ، بهمة ونشاط .

وهنالك حالة أخرى درسناها بامعان وعمق ، وهي حالة تلك المدارس الابتدائية ، التي أسستها الأمة رغم أنف الاستعمار ، والتي ناهز عددها المائة والسبعين ، يأوي اليها من أبناء الأمة قرابة الخمسين ألف تلميذ ،

يقف على تعليمهم ما يزيد عن السبعمائة من المعلمين الفدائيين الأبطال ، فهل تغتنم الحكومة الجائرة هذه الفرصة للقضاء نهائيا على الجمعية ، وتعطيل سيرها العلمي المنهاجي بضربة قلم قاهر ؟ .

وبعد مذاكرات طويلة ، ومفاهمات خاصة وعامة ، رأينا أننا من الثورة ومع الثورة ، ولا يمكن اطلاقا أن لا نكون مع الثورة ، مع الحذر التام .

من أجل ذلك فنحن نهيب بكل سرعة ، بكل رجالنا وطلبتنا ومنظماتنا ، أن يعملوا ما استطاعوا مع الثورة ، ويبذلوا فى سبيل نصرتها كل نفس ونفيس ، مع وجوب المحافظة التامة على مكتسبات الأمة الجزائرية التي هي المعهد والمدارس الابتدائية ، على أن تعلن الجمعية موقفها فى اجتماع عـــام .

هذا ، الى جانب مقرراتنا الرسمية التي تدور حول أمور الجمعيـــة ومشاكلها الداخلية ، مما ليس هو من مضمون بحثنا خلال هذه المذكرات .

وخرجنا من الاجتماع مجاهدين فى سبيل الله . صفا واحدا . وأقول أداء للأمانة واعترافا بالحق . أن الشيخ العربي التبسي رحمه الله رحمة واسعة . قد سار سيرا موفقا ، وتدرج مع الثـــورة الـــى الـــذروة . وكتب الله له ، ولنعم ما كتب الله ، أن يموت شهيدا من شهداء الثورة الأبرار ، اذ ألقى رجال المنظمة العسكرية السرية الاستعمارية القبض عليه ليلا ، وساقوه الى ساح الاعدام بعد أيام قضاها فى دهاليز «فيللا سيزيني » مركز البحوث التاريخية اليوم ، رحمه الله رحمة واسعة .

انتهى الاجتماع ، ورجعنا الى المقر ، ليقوم كل منا بواجبه .

كان أول ما عملته هو أنني راسلت الرئيس محمد البشير الابراهيمي أعلمه بالثورة وأهدافها . ومما قلت له :

« وهكذا أيها الشيخ الجليل ، استجابت الأمة لدعوة الجهاد التي نشرناها مدى عشرين عاما ، وأعلنتها ثورة عارمة على الغاصبين ، وأسندت قيادتها لجبهة تحرير وطني لا لحزب ولا لفرد ، انما هي قيادة جماعية على قاعدة سعد زغلول رحمه الله : في ميدان التضحية متسع للجميع .

أما وقد انضممنا نحن للثورة بقضنا وقضيضنا ، وسارت مواكب من شبابنا وشيوخنا تتصدر المعركة أو تتوسطها ، فنرجوك أستاذي الجليل أن تفجر من ينبوع فكرك الصافي موردا عذبا يشفي غلة الأمة الصادئة ، وأن تنشر باسمك وبصفتك رئيسا للعلماء المسلمين الجزائريين منشورا عاما ، يبارك الثورة ويمجدها ، ويدعو الأمة للمشاركة فيها روحا وبدنا ، ومالا ، فالساعة حاسمة ، والمسؤولية جسيمة ، ومن تأخر عن كفاح اليوم فلن يتقدم بعدها لكفاح اطلاقا . »

وبقينا ننتظر استجابة الرئيس للنداء .

وفي انتظارنا رأينا على صفحات صحف مصر الفاضلة هذا الخبر منشورا على الطريقة التالية :

من جمعية علماء الجزائر
الى القائدين العظيمين
السيد الرئيس جمال عبد الناصر
والسيد الوزير أنور السادات

بمناسبة الجهاد الذي يقوم به اخواننا الجزائريون ضد الاستعمار الفرنسي الغاشم دلل رجال الثورة في مصر من جديد على مروءتهم

الكاملة وعلى وفائهم الدائم لاخوانهم الأحرار المكافحين فى المغـرب العربي . فلقد كان أول صوت ارتفع عاليا مدويا بعد الحوادث الجزائرية هو صوت الرئيس جمال عبد الناصر فى تصريحاته القوية المتزنة لجريدة كارفور الاستعمارية . والصوت الثاني هو صوت السيد القائمقام أنور السادات وزير الدولة وسكرتير المؤتمر الاسلامي العام . وبهذه المناسبة أرسل السيدان البشير الابراهيمي والفضيل الورتلاني يشكران القائدين العظيمين بالبرقيتين التاليتين :

السيد جمال عبد الناصر :

شكرا عميقا لا نهاية لأثره عن تصريحاتكم العبقـرية لجريدة كارفور الاستعمارية وأن الجزائر والمغرب العـربي فى كفاحهم المرير ليحيون فى سيادتكم مثال البطولة الفـذة ويأملون رعايتكم الكريمة أبقاكم الله سندا للمجاهدين الأحرار ومخيفا للظالمين الأشرار .

أما تهجمات فرنسا على مقامكم الكريم فقد أكسبتكـم قلب ثلاثين مليونا من المغـاربة ومئـات الملايين من العـرب والمسلمين بل حتى الأوربيين المنصفين .

***

السيد القائمقام أنور السادات سكرتير المؤتمر الاسلامي العام بالقاهرة :

شكرا جزيلا على كلمتكم العبقرية لجريدة الجمهورية عن شقيقتكم الجزائر المكافحة وعن فرنسا أخبث شيطان .

حياكم الله وزملاءكم القادة الأبرار وقوى بكم جهاد الأحرار ، وأخاف بكم الظالمين الأشرار ، وبارك رعايتكم لاخوانكم باستمرار .

عن مكتب
جمعية العلماء الجزائريين بالقاهرة
الرئيس البشير الابراهيمي
والفضيل الورتلاني

ولم يطل بنا الانتظار طويلا ، حتى رأينا على صفحات الصحف المصرية هذا النداء البليغ ، ننشره كاملا رغم طوله ، ففيه أجلى دليل على موقف جمعية العلماء ، من الثورة ومن رجالها .

نداء جمعية العلماء :

نداء

من الأستاذ الشيخ محمد البشير الابراهيمي
رئيس جمعية العلماء الجزائريين
الى الشعب الجزائري المجاهد

أيها المسلمون الجزائريون :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

حياكم الله وأحياكم ، وأحيا بكم الجزائر ، وجعل منكم نورا يمشي من بين يديها ومن خلفها ، هذا هو الصوت الذي يسمع الآذان الصم ، وهذا هو الدواء الذي يفتح الاعين المغمضة ، وهذه هي اللغة التي تنفذ معانيها الى الأذهان البليدة ، وهذا هو المنطق الذي يقوم القلوب الغلف ، وهذا هو الشعاع الذي يخترق حجب الأوهام .

كان العالم يسمع ببلايا الاستعمار الفـرنسي لدياركم فيعجب كيف لم تثوروا ، وكان يسمع أنينكم وتوجعكم منه ، فيعجب كيف تؤثرون هذا الموت البطيء على الموت العاجل المريح . وكانت تسوق شبابكم الى المجازر البشرية فى الحروب الاستعمارية فتموت عشرات الآلاف منكم فى غير شرف ولا محمدة بل فى سبيل فرنسا وتوسيع ممالكها وحماية ديارها ، ولو أن تلك العشرات من الآلاف من أبنائنا ماتوا فى سبيل تحرير الجزائر لماتوا شهداء ، وكنتم بهم سعداء .

أيها الاخوة الجزائريون :

احتلت فرنسا وطنكم منذ قرن وربع قرن . وشهد لكم التاريخ بأنكم قاومتموها مقاومة الأبطال ، وثرتم عليها مجتمعين ومتفرقين نصف هذه المادة ، فما رعت فى حربها لكم دينا ، ولا عهدا ، ولا قانونا ، ولا انسانية ، بل ارتكبت كل أساليب الوحشية من تقتيل النساء والأطفال والمرضى وتحريق القبائل كاملة بديارها وحيواناتها وأقواتها .

ثم حاربتم معها وفى صفها وفى سبيل بقائها نصف هذه المدة ، ففتحت بأبنائكم الأوطان وقهرت بهم أعداءها . وحمت بهم وطنها الأصلي فما رعت لكم جميلا ، ولا كافأتكم بجميل ، بل كانت تنتصر بكم ثم تخذلكم . وتحيا بأبنائكم ثم تقتلكم ، كما وقع لكم معها فى شهر مايو سنة 1945 . وما كانت قيمة أبنائكم الذين ماتوا فى سبيلها وجلبوا لها النصر الا أنها نقشت أسماء بعضهم فى الأنصاب التذكارية . فهل هذا هو الجزاء ؟

طالبتموها بلسان الحق والعدل والقانون والانسانية من أربعين سنة بأن ترفق بكم وتنفس عنكم الخناق قليلا فما استجابت . ثم طالبتموها بأن ترد عليكم بعض حقوقكم الآدمية فما رضيت ، ثم طالبتموها بحقكم الطبيعي الذي يقركم عليه كل انسان وهو ارجاع أوقافكم ومعابدكم وجميع

متعلقات دينكم فاغلقت آذانها فى اصرار وعتو ، ثم ساومتموها على حقوقكم السياسيه بدماء أبنائكم الغالية التي سالت فى سبيل نصرها فعميت عيونها عن هذا الحق الذي يقرره حتى دستورها . ثم هي فى هذه المراحل كلها سائرة فى معاملتكم من فظيع الى أفظع .

أيها الاخوة الجزائريون الأبطال :

لم تبق لكم فرنسا شيئا تخافون عليه أو تداارونها لأجله. ولم تبق لكم خيطا من الأمل تتعللون به ، أتخافون على أعراضكم وقد انتهكتها ؟ أم تخافون على الحرمة وقد استباحتها ؟ أم تخافون على الأموال وقد تركتكم فقراء تلتمسون قوت اليوم فلا تجدونه ؟ أم تخافون على الأرض وخيراتها ، وقد أصبحتم فيها غرباء حفاة عراة جياعا ، أسعدكم من يعمل فيها رقيقا زراعيا يباع معها ويشتري . حظكم من خيرات بلادكم ـ النظر بالعين والحسرة فى النفس. أم تخافون على القصور وتسعة أعشاركم يأوون الى الفيران كالحشرات والزواحف ؟ أم تخافون على الدين ؟ ويا ويلكم من الدين الذي لم تجاهدوا فى سبيله ، ويا ويل فرنسا من الاسلام الذي ابتلعت أوقافه وهدمت مساجده ، وأذلت رجاله ، واستعبدت أهله ، ومحت آثاره من الأرض ، وهي تجتهد فى محو آثاره من النفوس .

أيها الاخوة المسلمون :

ان فرنسا لم تبق لكم دينا ولا دنيا ، وكل انسان فى هذا الوجود البشري انما يعيش بدين ويحيا بدنيا ، فاذا فقدهما فبطن الأرض خير له من ظهرها .

وانها سارت بكم من دركة الى دركة حتى أصبحت تتحكم فى عقائدكم وشعائركم ، وضمائركم ، فالصلاة على هواها ، والحج بيدها لا بأيديكم ، والصوم برؤيتها لا برؤيتكم ، وقد قرأتم وسمعتم من رجالها المسؤولين عزمها

على أحداث (اسلام جزائري) ومعناه اسلام ممسوخ ، مقطوع الصلة بمنبعه في الشرق وبأهله من الشرقيين .

ان الرضى بسلب الأموال قد ينافي الهمة والرجولة ، اما الرضى بسلب الدين والاعتداء عليه فانه يخالف الدين والرضى به كفر بالله وتعطيل للقرآن .

انكم في نظر العالم العاقل المنصف لم تثوروا ، وانما أثارتكم فرنسا بظلمها الشنيع وعتوها الطاغي ، واستعبادها الفظيع لكم قرنا وربع قرن ، وامتهانها لشرفكم وكرامتكم ، وتعديها المريع على دينكم .

ان أقل القليل مما وقع على رؤوسكم من بلاء الاستعمار الفرنسي يوجب عليكم الثورة عليه من زمان بعيد ، ولكنكم صبرتم ، ورجوتم من الصخرة أن تلين ، فطمعتم في المحال، وقد قمتم الآن قومة المسلم الحر الأبي ، فاعيذكم بالله وبالاسلام أن تتراجعوا أو تنكصوا على أعقابكم ، ان التراجع معناه الفناء الأبدي والذل السرمدي .

ان شريعة فرنسا أنها تأخذ البريء بذنب المجرم ، وأنها تنظر اليكم مسالمين أو ثائرين نظرة واحدة ، وهي أنها عدو لكم وانكم عدو لها ، ووالله لو سالمتموها الف سنة لما تغيرت نظرتها العدائية لكم ، وهي لذلك مصممة على محو دينكم وعروبتكم وجميع مقوماتكم .

انكم مع فرنسا في موقف لا خيار فيه ، ونهايته الموت ، فاختاروا ميتة الشرف على حياة العبودية التي هي شر من الموت .

انكم كتبتم البسملة بالدماء في صفحة الجهاد الطويلة العريضة ، فاملأوها بآيات البطولة التي هي شعاركم في التاريخ ، وهي أرث العروبة والاسلام فيكم .

ما كان للمسلم أن يخاف الموت وهو يعلم أنها كتاب مؤجل ، وما كان للمسلم أن يبخل بماله أو بمهجته ، فى سبيل الله ، والانتصار لدينه ، وهو يعلم أنها مبالغة مع الله ، وما كان له أن يرضى الدنية فى دينه ، اذا رضيها فى دنياه .

أخلصوا العمل لله ، وأخلصوا بصائركم فى الله ، واذكروا دائما وفى جميع أعمالكم ما دعاكم اليه القرآن من الصبر فى سبيل الحق ، ومن بذل المهج والأموال فى سبيل الدين ، واذكروا قبل ذلك كله قول الله : « وجاهدوا فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم » وقول الله : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله . والله مع الصابرين » .

أيها الاخوة الأحرار :

اني كلما ذكرت ما فعلت فرنسا بالدين الاسلامي فى الجزائر وذكرت فظائعها فى معاملة المسلمين – لا لشيء الا لأنهم مسلمون – كلما ذكرت ذلك احتقرت نفسي واحتقرت المسلمين وخجلت من الله أن يراني ويراهم ، مقصرين فى الجهاد لاعلاء كلمته ، وكلما استعرضت الواجبات وجدت أوجبها وألزمها فى أعناقنا الجهاد المقدس فهو الذي يسقط علينا الواجب ويدفع عنا وعن ديننا العار ، فسيروا على بركة الله وبعونه وتوفيقه الى ميدان الجهاد المقدس ، فهو السبيل الواحد الى احدى الحسنيين : أما موت وراءه الجنة ، وأما حياة وراءها العزة والكرامة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد البشير الابراهيمي
رئيس جمعية العلماء المسلمين
الجزائريين

وفد العلماء والاعانة المصرية :

نشرت البصائر فى العدد 290 الصادر يوم 26 أكتوبر 1954 ، مايلي:

« تفضل رجل الدولة وزعيم الثورة العظيم البكباشي جمال عبد الناصر رئيس حكومة مصر ، باقتبال وفد جمعية

العلماء المسلمين الجزائريين الذي كان يشمل الشيوخ الأساتذة البشير الابراهيمي الرئيس الاول ، والعربي التبسي الرئيس الثاني ، والفضيل الورتلاني المعتمد الداعية العظيم ، وأحمد بوشمال العضو الاداري . ورغم الاشغال العظيمة التي يكرس لها رجل مصر أوقاته والمشاكل الداخلية والخارجية التي يمارسها كل يوم . فقد استبقى الوفد عنده ما يزيد عن الساعة والنصف ، تبودلت فيها بغاية الصراحة الأفكار والآراء حول المسائل التي تهم العالم الاسلامي عامة والتي تهم المغرب العربي والقطر الجزائري بصفة أخص ، وكان الزعيم المصري العظيم يتدفق فى كل مسألة بالبيانات الدقيقة والمعلومات المفصلة . حتى كأنه دائرة معارف حية ، بارك الله فى حياته الغالية ، وفى جهوده الموفقة لخير مصر والعروبة والاسلام . الى أن قالت البصائر :

ان الرئيس قد أكد لهم أن مصر مستعدة لبذل كل عون تقدر عليه وأن هذا العون قابل للنمو دائما . وأن الحكومة المصرية بالاشتراك مع الحكومات الاخرى . ستعمل بقوة وبأقصى ما يمكنها من جهد للمحافظة على عروبة كل دولة ونشر الثقافة العربية فيها . وأن السيد الرئيس يرى أن العرب كلهم عائلة واحدة . وأن اجتماع كلمتهم انما هي من خيرهم وخير الانسانية كلها والحكومة المصرية، بالاشتراك مع الحكومات العربية الأخرى تعمل بكل قوة على جمع هذه القوة الانسانية العظيمة ويأملون من ذلك الخير للدول العربية جميعا » .

فى ذلك الاجتماع الكبير ، الذي وقع بين اجتماعين للرئيس مع الاخوة ابن بلة وخيضر ، ومن معهما ، كما علمت فيما بعد ، تعهد الرئيس عبد الناصر بأن تقبل مصر على حسابها الخاص ، مائة من طلبة الجزائر ، تبعث بهم جمعية العلماء من أجل استكمال المعلومات فى الثانويات المصرية ، أو التخصص فى الجامعات .

برقية الجمعية لمسؤولي فرنسا :

خلال شهر أكتوبر من سنة 1955 ، دارت فى مجلس الأمة الفرنسي مناقشات طويلة ومتشعبة حول المشكل الجزائري ، وأدلت كل الأحزاب والهيئات برأيها عن الوسائل الناجعة التي من شأنها أن تحل القضية الجزائرية حلا سليما موفقا ، يرضي كل الجوانب المتنازعة .

لم تكن لنا أي ثقة فى الحكومة ، ولا فى الأحزاب ، ولا فى أغلب « نوابنا » وأردنا أن نسمعهم صوت الأمة وصوت الثورة . فبعثنا لهم جميعا هذه البرقية :

« جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ترى من واجبها اعلامكم قبل تصويت المجلس الوطني على القضية الجزائرية، أن سياسة الاصلاحات غير مجدية وقد تعدتها الحوادث بصفة واضحة .

اما سياسة الامتزاج التي تقاومها الامة الجزائرية فى شبه اجماع ، فهي مخالفة لتعاليم الدين الاسلامي . فالسياسة الواقعية الواجبة الاتباع هي سياسة الاعتراف بحقوق الشعب الجزائري وارضاء رغائبه ، وذلك بالمفاهمة الصادقة مع ممثليه الحقيقيين ــ ان كل سياسة تخالف هذه السياسة لا تزيد الهوة السحيقة التي تفصل بين الجانبين الا عمقا واتساعا ــ تفضلوا بقبول عميق احترامنا .

عن جمعية العلماء

نائب الرئيس : العربي التبسي
نائب الرئيس : محمد خير الدين
الأمين العام : أحمد توفيق المدني

بيان العلماء الأول :

خلال شهر جانفي من سنة 1955 . نشرت جمعية العلماء بيانا للشعب الجزائري ، حررته وقدمته للمجلس فصادق عليه ، ونشر بجريدة البصائر عدد 304 ومما جاء فيه :

« .. ونحن نرى أن نعلن من جديد ، بعد ما أطنبنا فى بيان أفكارنا الأساسية على صفحات البصائر ، وبحكم اتصالنا بالأمة الاتصال الوثيق الذي يجعلنا نفصح عن رغباتها ونعبر عن آمالها وآلامها ، ان البلاد فى حاجة أكيدة الى تغييرات أصولية أساسية تتناول سائر الأسس التي بني عليها النظام الجزائري ، لا الى اصلاحات صورية طفيفة تؤيد الحالة الحاضرة المنكرة وتفرضها على الأمة فرضا جديدا ، لا تكون عاقبته الا القلاقل والاضطرابات والحوادث المتوالية .

وان برنامج التغيرات الأساسية الأصولية فى أمور البلاد لا يمكن أن يرتجل فى باريس ارتجالا ، بل يجب أن يكون نتيجة بحث ودراسة عميقة مع ممثلي الأمة الحقيقيين الذين يتكلمون باسم سائر الأحزاب والهيئات والمنظمات القومية (4) .

ولا تقبل الأمة بأية حال ولا ترضى عن برنامج اصلاحي ، الا اذا حقق رغبتها التحريرية الكبرى فى كل ما يتعلق بالحكم والادارة والشؤون العامة ، وكل ما يتعلق بدينها ولغتها .

وترجو الجمعية أن تقدم الحكومة بكل سرعة وبكل اخلاص ، على تهيئة جو صالح للمفاوضات حول تحقيق الأسس المتقدمة ، باطلاق سراح المسجونين الذين امتلأت بهم السجون ، سواء حوكموا أو لم يحاكموا ، والاقلاع عن سياسة البطش الحربي وازهاق الأنفس البريئة ، فليست أعمال العنف هي التي تقضي على الثورة الظاهرة والخفية ، بل لا تقضي على ذلك الا سياسة الانجازات الحقيقية التي تنتظرها الأمة بفارغ صبر .

ان جمعية العلماء قد قامت ، وتستمر على القيام بسائر واجباتها ، مهما كانت الملابسات ، وترجو أن تكون مساهمة فى حمل الحكومة على سلوك السياسة الصالحة ، كما كانت مساهمة فى حمل رسالة الأمة الى الدوائر التي تهتم بالقضية الجزائرية كلها .

وتتوجه الجمعية أخيرا بكلمة الى غلاة رجال الاستعمار الذين يحاولون المحاولات اليائسة لابقاء الحالة الاستعمارية

---

4 ـ أي جبهة التحرير الوطني .

الحاضرة ، وتقول لهم : ان محاولاتهم تعتبر جريمة لا تغتفر، وأن أعمالهم لن تؤدي الا الى الخراب والاضطراب .

كما تتوجه الى الأمة بكلمة طيبة تحثها فيها على التماسك والتكتل والوحدة المطلقة فى سبيل الدفاع عن حريتها المنتهكة ، وحقها المغصوب ، وكرامتها المهدورة ، وروحياتها التي امتهنت ، حتى تخرج من هذه الأزمة الطويلة المدى بتحقيق أهدافها وبلوغ غايتها الكبرى ، وأن تصبر الصبر الجميل على ما تعانيه من ارهاق ومظالم ، فان ساعة الفرج قريبة بحول الله » .

المكتب الدائم

بيان الجمعية الحاسم :

بعد ذلك بسنة ، أي فى شهر جانفي من سنة 1956 ، وقد اشتدت المعركة ، وحمي الوطيس ، واندفع شعب الجزائر البطل ، بقضه وقضيضه ، فى حرب التحرير العارمة القاسية اتفقت مع الشيوخ : محمد خير الدين ، والعباس بن الشيخ الحسين ، وعبد اللطيف سلطاني ، ونعيم النعيمي ، على وجوب عقد اجتماع عام للجمعية ، بأسرع ما يمكن لتقول الجمعية كلمتها الحاسمة ، ولكي يعرف الخاص والعام فى الجزائر وفى فرنسا ، وفى بقية أصقاع العالم موقف الجمعية من الكفاح ، ومكانتها من الأمة ، ووقوفها خلال هذه الحرب القاسية الفظيعة فى الطليعة ، وأحطنا الشيخ العربي التبسي برأينا ، فصادق عليه ثم كلفني بأن أحرر بيانا ينشر على الأمة بعد مصادقة الاجتماع العام ، وحررته وتلوته عليهم وقلت لهم بعد التلاوة : هل توافقون عليه ؟ قال الشيخ العربي بداهة : من لم يوافق عليه فليس بمسلم ! كان الشيخ قد اختمر بفكرة الثورة حتى الأعماق .

اتصلنا برجالنا فى مختلف جهات القطر ، بأقصى ما يمكن من السرعة ، وانعقد الاجتماع العام بمركز الجمعية وكان يشمل 230 من الأعضاء

العاملين الصادقين : وما أن تلوت عليهم البيان حتى علا ضجيجهم وارتفع هتافهم وصادقوا عليه فى حمية وايمان واندفاع وطني جارف . ثم نشرت البيان فى العدد 350 من البصائر وطبعنا من ذلك العدد 35,000 نسخة تخطف الناس جلها ، وصادرت الحكومة بعضها (نحو 3000 نسخة) واليكم نص ذلك البيان :

بيـــان

من المؤتمر السنوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

بمناسبة الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد يوم السبت الموافق 7 يناير سنة 1956 بعاصمة الجزائر قرر المجتمعون بالاجماع البيان التالي :

نحن المجتمعين من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

نعلن بكل صراحة ان الاستعمار المفروض بقوة السلاح على القطر الجزائري منذ سنة 1830 هو المسؤول الوحيد عن كل المآسي والمصائب والويلات التي وقعت فى القطر الجزائري ، وذلك بما أحدثه فيه من ميز عنصري مخجل ، وما سلكه فيه من سياسة التفقير والتجهيل والحرمان من كل نعم الحياة بالنسبة للعنصر الاسلامي ، وما حارب به الدين الاسلامي فى أقدس مقدساته ، وما أجهز به على التعليم العربي القرآني فى كل جهة من جهاته ، وما تعمده من محق جنسية الأمة ومحاولته ابتلاعها ومحو كل مظهر من مظاهر سيادتها ، وما أعلنه مرارا رغم ارادتها ، من الحاقها وادماجها ، الى أن أوصل الأمة بكل ذلك الى درجة اليأس فعمدت الى الأعمال التي يوجبها اليأس .

ونرفع عقيرتنا بالاحتجاج الصارم العنيف على ما ارتكب فى مختلف جهات البلاد من أعمال البطش والارهاب والتنكيل ، وما وقع من الفظائع والفضائح والمنكرات ، بدعوى الزجر ومحاولة اخماد الثورة .

كما نحتج الاحتجاج الصارخ على تلك المظالم المثيـــرة المتعددة التي وقعت على مدارس جمعية العلماء وما وقع على المعلمين فيها من حيف وجور : بين سجن وتغـريم وابعاد الى المحتشـدات .

ونترحم على الشهداء الأبرار الذين ذهبـــوا ضحيـــة القمع الأعمى الفظيع ، وندعو الأمة للقيام بواجبها نحو ابنائها وعائلاتهم ، وكفالتهم كفالة يوجبها الاسلام وتفرضها المروءة والشرف .

ونبعث بصادق الود وعظيم التقدير والعطف ، لسائر رجال الأمة الأحرار الأبرار الذين أوصدت عليهم أبـواب السجن ، أو أطبقت عليهم الأسلاك الشائكة فى المحتشدات، ونشاركهم فى تلك المحنة التي تقبلوها بثغور باسمة وصدور رحبة ، ونعلمهم أن الأمة الحية الشاعرة لن تنسى لهـم تضحيتهم ، وانهم سيكونون غدا فى طليعة العاملين عـلى انشاء الهيكل الوطني العظيم .

ونرفع عظيم الامتنان ووافر التقدير لسائر الأحرار فى كل أقطار الدنيا ، ولجميع الصحف العالمية النزيهة ولسائر الحكومات الحرة التي أيدت الأمة الجـــزائرية فى نضالها الشريف ، ودافعت عنها ، ومدت يمين الأخوة لمبادىء الحق والعدل والتحرير ، ونرجو أن يشارك كل شعب حر وكل حكومة حرة ، وكل صحيفة نزيهة ، فى هذا الكفاح الميمون ، لفائدة الحق والعدل والحرية بالبلاد الجزائرية .

ونعلن مرة أخرى ان كل سياسة مبنية على ترقيع الماضي واجراء (اصلاحات) على قاعدة النظم الاستعمارية الحالية، مهما تغير اسمها ، انما هو من قبيل العبث والاستهتار ، والامعان فى الزج بالأمة الجزائرية فى مضيق اليأس الذي لا يحدث الا الانفجار .

ونقول كلمة صريحة علنية نرجو أن يسمعها المسؤولون فى باريس ، وأن يسمعها العالم أجمع ، وهي أنه لا يمكن حل القضية الجزائرية بصفة سلمية وسريعة الا بالاعتراف العلني الصريح بكيان الأمة الجزائرية الحرة ، وجنسيتهـــا الخاصة العربية ، وحكومتها القومية ، ومجلسها التشريعي المطلق التصرف فى دائرة احترام مصالح الجميع ، والمحافظة على حقوق الجميع .

ونؤكد أنه لا يمكن وضع حد لحالة الحرب الحاضرة ، والاقدام على بناء النظام الحر الجديد ، الا بواسطة التفاهم الصريح المخلص مع سائر الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائري من رجال الحل والعقد ، الذين أظهرهم الكفاح الجزائري .

ونوصي الأمة ختاما بالحق ، ونوصيها بالصبر . ونستحثها على العمل الصالح ، والثبات وتوحيد الصفوف ، ونسيان الخلافات القديمة ، حتى تستطيع متحدة متظافرة أن تصل قريبا الى الدرجة الرفيعة التي أهلها لها جهادها المستمر منذ أحقاب ، وكفاحها الشريف الذي أصبح في العالم مضرب المثل . وتاريخها الحافل بجلائل الأعمال .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ».

و « لينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز » .

والسلام على الأمة العربية الحبيبة الماجدة ورحمة الله .

عن الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين

الكاتب العام — **نائب الرئيس**

احمد توفيق المدني — **العربي التبسي**

أحدث هذا البيان دويا صارخا . واشتغل الناس كافة بدراسته وتحليله ، داخل الجزائر وخارجها وغني عن البيان أنني عرضته سرا على قيادة الثورة العاملة بمدينة الجزائر فابتهجت به وأقرته . وقامت قيامة الحكومة الفرنسية ، وأخذ رجالها يتلاومون على هذه الحرية الصحفية التي تركت لجريدة البصائر ، وقرروا منذ تلك الساعة تشديد حلقات الرقابة بحيث يجب أن تعرض عليهم النسخة من البصائر كاملة ، قبل طبعها وتبقى عندهم يومين يعبثون بمقالاتها كما شاءوا ، يحذفون بعض فقرات المقالات مع اجبارنا على عدم ترك مكانها بياضا أو يحذفون المقال الافتتاحي الذي كنت أحرره . وأضع عليه امضاء (البصائر) ، وعندئذ تتعطل البصائر أو يتأخر صدورها أياما .

أما بعد نشر البيان المذكور ، والدوي الحاد الذي أوجده فى كل الأوساط السياسية ، ثم حجز الحكومة لما وجدت من عـدد البصائر التي تحمل ذلك البيان فقد نشرت فى البصائر بالعدد 351 ، ما يلي :

البصائر تحجز والمعركة مستمرة

هال الادارة وراعها أن تعمد البصائر فى عددها السابق لقول الكلمة الحق التي تعبر عن شعور الجزائريين الاجماعي تجاه الحالة الحاضرة ومآلها ، فأصدرت أوامرها بحجـز البصائر حيثما وجدت . وطاف الأعوان على الباعة بغاية النشاط يجمعون ما بقى لديهم من ذلك العدد . وقد صودر العدد فى جهات أخرى عديدة من القطر الجزائري ولم يصل الى قرائه فى جهات أخرى .

اننا لا ننثني أمام هذه المصادمات المستمرة . ولا نرجع أبدا على أعقابنا ، وسنستمر على قول كلمة الحق مهمـا كانت قاسية ، فذلك هو واجبنا أمام الله وأمام امتنا . وليفعلوا بعد ذلك ما بدا لهم .

حبـل الكـذب قصير

ان الادارة التي تمد « مذياع الجزائر » بالأنباء ، تعمدت الكذب والتدليس ومغالطة الحقائق فقدمت للفئة القليلة من الذين يضيعون الوقت فى سماعه تآويل سخيفة مفرضـة مشوهة عن بلاغ جمعية العلماء الذي أصدره الاجتمـاع العام والذي هو بلاغ صريح لا يحتاج لتآويل ، وقد نشرناه بالنصين العربي والفرنسي ، وما قصدت الادارة من ذلك الا محاولة احداث بلبلة فى أفكار الذين لا يقرأون النصوص من جمهرة الأميين الذين يبلغون فى قطر الجزائر 90 بالمائة ، بفضل الاستعمار الرحيم .. فنحن نحتج على هذا التدليس المخجل الذي يدل على مقدار سقوط النظم الاستعمارية ، ونرجو سائر قرائنا أن يبثوا فيما حواليهم نصّ بلاغ جمعية العلماء سواء بأصله العربي أو بترجمته الفرنسية .

وليتذكر القراء فرية هذه الادارة ومذياعها عن فضيـلة الشيخ الابراهيمي حتى ظهر الحق فدمغها وافحمها .

أما اليوم فهي تفسر آية « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » بقولها : ان العلماء يوصون الأمة بالخضوع للقانون والنظام الحاضر .

هذه هي السخافة وهذا هو البهتان ..

ولا يحيق المكر السيء الا بأهله . وحبل الكذب قصير .

« البصائر »

وفي نفس ذلك العدد نشرت افتتاحية تحت عنوان : فأخذتهم الصيحة .. جاء فيها :

فأخذتهم الصيحة ..

احدث البلاغ الذي أذاعه الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين ضجة عظمى فى الدوائر الحكومية والمحافل السياسية ، لا تزال تشتد وتتفاقم . وقد بوغت به القوم أول مرة فذهلوا قليلا ، ثم أطلقوا العنان لأقلامهم ولدعايتهم ، ومنهم من نزل الى الدرك الأسفل من الضعة والهوان فاستعمل سلاح الافك والبهتان ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، مما يعتبر أعظم سبة وأشنع عار لادارة استعمارية هوجاء تعاني سكرات الموت ، وستتوارى عما قريب تحت انقاض النظم الاستعمارية البالية .

أما الصحف الكبرى فقد خصته بعناية هو حقا جدير بها . فمنها من نشر اغلب بنوده ، وعلق عليها بما يوافق مشربه وما يرضي هوى قرائه ، ومنهـا من اكتفى بنشر التعاليق الضافية التي لا تزال تتوالى .

فجريدة لوموند الباريسية الكبرى ، فقد افسحت عمودين من صفحاتها لنشر أهم فقرات البلاغ ، التي تتعلق براي الجمعية فى مستقبل حياة الجزائر ، وأسباب الثورة الحالية واتهام الجمعية للنظام الاستعماري بأنه هو سبب ما أصاب وما يصيب الجزائر من ويلات ومصائب وآفات .

لكن احد محرري لوموند رأى وجوب تذييل ذلك البلاغ بكلمة ترضي المتعصبين من قرائه والمحافظين من رجاله فقال :

« ان جمعية العلماء « الاصلاحيين » كانت قبل اليوم تتجنب خوض المعامع السياسية حتى اذا ما جابهتها عمدت الى الكثير من الحذر والحيطة .

لكنها اليوم ، استعمالها لحجج شديدة قاسية ، وبجهلها للتاريخ ، حين جعلت احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830 هو أصل البلاء والشقاء ، قد أفقدت بلاغها شيئا من قوته ولا يمكن لانسان أن يتغافل عن الواقع الملموس ، وينكر ما وقع فى البلاد الجزائرية من أعمال صالحة يشهد بها كل المسلمين المنصفين » .

وما كادت جريدة الاكسبريس الباريسية تتلقى ذلك البلاغ ، حتى بادرت بنشر تعليق ضافي الذيل عليه ، قالت فيه أن التطرف قد أصبح اليوم هو السياسة الوحيدة فى الجزائر . وبعد أن تعرضت لذكر أعمال شيوخ المدن وغيرهم من غلاة الاستعماريين ، قالت :

« ان جمعية العلماء التقية الورعة كانت تتحاشى قبل اليوم دخول الميادين السياسية وتجعل كفاحها العنيف خاصـا بالميادين الدينية ، لكنها نشرت اليوم بلاغا لا نستطيع أن نفهم ما فيه من شدة وعنف ، الا متى فهمنا الجو الذي تلاطمت فيه أمواج العواطف والأهواء بالقطر الجزائري » .

وبعد أن نقلت فقرات البلاغ استمرت تقول :

ان لهذا البلاغ الذي نشره العلماء أهمية عظمى لأنه يعتبر أول تأييد ديني رسمي للثورة الجزائرية . « وان الدوائر الرسمية فى الجزائر لا تخفي ما لهذا البلاغ من أهمية » .

وتخلصت الصحيفة التي هي لسان حكومة الغد بفـرنسـا ، الى الحملة على م . سوستيل الوالي العام وأنه فقد كل نصير بالبـلاد الجزائرية ، قالت أنه لا يجد اليوم حواليه الا أولئك الرجال الذين كانوا يحملون عليه الحملات المنكرة خلال شهر ماى 1955 ، ويلصقون به أشنع التهم ، (يعني بعض الأميار وغلاة الاستعماريين) .

أما جريدة « كومبا » التي كانت فى وقت من الأوقات لسان المقاومين الأحرار الفرنسيين فقد كتبت عن بلاغ الجمعية مقالا طويل الذيل ، قالت فيه :

> ان جمعية العلماء فى القطر الجزائري انما هي تعمل بايحاء من الدول العربية ومنظمات القاهرة . ثم استخلصت من البلاغ : ان الدول العربية قد عدلت عن الميدان السياسي فى القطر الجزائري ، الى الميدان الديني . وان العلماء المسلمين بنشرهم لبلاغهم المذكور يرشحون أنفسهم ليكونوا « مفاوضين صالحين » .

وبعد أن انتقدت على العلماء رفضهم للاصلاحات والحال أن اسمهم هو « العلماء الاصلاحيون » ، وخلط خلطا مخجلا بين الاصلاح الديني الذي قامت عليه الجمعية ، وبين الاصلاحات السياسية المرفوضة ، قالت :

> « ان بلاغ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كان حادثا سياسيا عظيم الخطورة . ذلك أن العربي التبسي وأحمد توفيق المدني . صديقي البشير الابراهيمي ، هما اللذان يمثلان فى القطر الجزائري هذا التهيج الاسلامي الذي يقوم به رجال الجامعة الاسلامية ، ومقره مدينة القاهرة وأن البعض من سادتهم ومن أصدقائهم يعتقدون أن « الجهاد » هو الأخذ بالثأر من « الحروب الصليبية » .

وأخذ محرر الفصل ينحدر على مثل هذا النمط حتى بلغ أسفل سافلين ، واستعمل ما أمدته به الادارة من أكاذيب البوليس ، واختلاق المهرجين من الاستعماريين ، وخلط بين الرجال والمسائل خلطا يدعو الى الرحمة والشفقة ، حتى ليخيل لقارىء فصله أنه دخل غابات أفريقيا الاستوائية .

أما المحرر الرئيسي لكومبا ، فيقول فى فصله الافتتاحي :

> « ان منشور جمعية العلماء الأخير ، يبين لنا بجلاء ووضوح مدى الخطر العظيم الذي يتجسم أمامنا فى حالة

ما اذا تركنا مشاكل الشمال الافريقي تتخذ شكلا دينيا ، فتصبح بذلك حادة عنيفة هوجاء ، وذلك ما لا يسهل أي أمر من الأمور » .

ولسنا ها هنا بصدد الرد على أقوال الصحف ، بل نحن بصدد العرض فقط ، أما الرد فقد قام به مكتب الصحافة لجمعية العلماء حيث راسل الصحف التي وقعت في الغلط أو تعمدت الوقوع فيه ، واننا لنرجو أن تكون لها من النزاهة أو من الاذعان للحق ما يجبرها على نشر الحقائق الساطعة التي راسلناها والتي نستمر على مراسلتها بها ، احقاقا للحق ومحقا للباطل ، حتى يكون الرأي العام الفرنسي مطلعا على حقيقة الحالة ، اطلاع الرأي العام العالمي الذي أصبح لا يجهل عن القضية شيئا . وجهل الرأي العام الفرنسي للحقائق هو الذي أوصل الحالة الى ما هي عليه من خطورة فهل تراه ينتبه ؟ .

البصائر

البريد السري :

أصبحنا ، منذ اعلان الثورة الى مغادرتي الجزائر بأمر من جبهة التحرير الوطني (مارس 1956) مركز بريد الجبهة الداخلي ، ووسيلة الاتصال بين مركز القيادة بالعاصمة ، وبين بقية جهات المعركة ، والقيادات الفرعية .

فالسيد الأخ ساطور الخياط بناحية بلكور . كان يفد علي تباعا الى مركز الجمعية يحمل فوق ذراعه بدلة من أجل تحديد المقاس ، حتى اذا ما اختلى بي في مكتبي ، سحب من تلك البدلة رسالة ، أو رسائل كان علي أن أوصلها بكل سرعة لأصحابها . وكنت أستعمل في تبليغ ذلك البريد جماعة من المجاهدين الفضلاء ، أمثال الشيخ حمزة بوكوشة ، الشيخ أحمد سحنون ، الشيخ الجيلالي الفارسي ، الشيخ مصباح

الحويذق ، وغيرهم من رجالات الجمعية الأمناء . كانوا يمتطون متن عربات سكة الحديد ، وهم يشعرون بأن ما يحملونه ربما أوصلهم لآلة الاعدام أو السجن الضيق الطويل ، فيبلغون الأمانة ويأتـون غالبـا بالجواب الذي يأخذه الأخ ساطور ضمن البدلة التي وردت علي كي أقيسها ، عشرات المرات ، وليست لي .

فطوبى لكم أيها الاخوة الأحرار ، وحسن مآب .

الاتصـــــالات :

وتهافتت الصحافة العالمية على مكتبي بمقر الجمعية ، بعد نشر البيان المذكور . وتوالى وفود الأفراد ، والجماعات ، يسألون ويستفسرون المواقف . فكنت أقول لهم بكل صراحة : انني من الجبهة ككل جزائري، لكنني لست أنا الجبهة ولست ممثلا لها . فان أردتم الاتصال بقـادة الجبهة فابحثوا عن الطريق الذي يوصلكم اليهم .

ومن أغرب من اتصل بي خلال هاتيك الفترة ، شخصان :

أولهما : الأستاذ المبرز ريمون هارون ، وقد كان من رجال الفكـر المعدودين بفرنسا ومن الذين أسهموا فى الدفاع عن القضايا العـادلة بنصيب وافر ومنها القضية الجزائرية .

جاءني يوما الى مكتبي بشارع لالير ، صحبة يهودي كان جاسوسا للحكومة علي ، وقد عرفت ذلك منه مباشرة ، وجاسـوسا لي عـلى الحكومة ، وبعد السلام والتحية أخرجت الجاسوس ، وبقيت لوحدي مع الأستاذ ، فسألته لماذا جئت مع الجاسوس ؟ قال لي : لقد قالوا لي فى الولاية العامة أنه الوحيد الذي يستطيع أن يوصلك الى توفيق . قلت يا سيدي : انك ترى مكتبي على قارعة الطريق ، وعليه علامة أفقيـة كبيرة تشير اليه وتحمل اسمي ، ولو سألت أي أحد من الناس عني

لدلوك بكل بساطة ، دون حاجة الى هذه الوسيلة الملتوية . قال لي ضاحكا : الآن انتهت القضية ووصلت اليك . وهذا هو المقصود . ثم استأنف يقول : نحن رجال الفكر والقلم ، علينا خلال هذه الأوقات الحرجة واجبات كثيرة ، منها أن ننصر الحق ومنها أننا نسعى لوضع حد لهذه الحرب التي يتفاقم أمرها يوما فيوما . وقد جئتك باقتراح خاص ، محدد ، هو : أن نضع بين أيديكم معشر العلماء المسلمين ، أربعا من الرهائن من كبار كتاب فرنسا وعلمائها ، على أن تسعى الجمعية فى ايجاد اتصال بيننا وبين رجال الجبهة ، كي نفاوضهم فى أمر وضع حد لهذه الحرب ، وايجاد صيغة لتفاهم معقول ، يحقق مطامع وآمال الجزائريين ويحفظ مصالح المستوطنين الفرنسيين . اننا لا نجد غيرك وسيلة لتحقيق هذا الأمر . وعندما تنتهي المذاكرات سواء بتفاهم أو بخلاف نعود أدراجنا ، وتطلق جمعية العلماء سراح الرهائن الذين بين يديها .

قلت : يا سيدي . هذا موضوع خطير . يجب علي أن أستشير فيه رئاسة الجمعية ومكتبها الدائم من جهة . ويجب أن آخذ رأي قيادة الجبهة من جهة أخرى . قال : عندنا فيك ثقة مطلقة ، فاستشر كما تريد . ثم أعلمنا بالنتيجة . والرهائن موجودون . فضحكت وقلت : لا أعتقد أصلا أن جمعية العلماء تقبل رهائن أو تشارك فى أمر كهذا . انما قصارى أمرها أن تجمع — اذا ما هي استطاعت ذلك — بينكم وبين بعض قادة الجبهة . قال : نعم الرأي .

واتصلت حالا أمامه بمقر الجمعية فكان مخاطبي الشيخ العربي التبسي نفسه ، وأحطته علما بالموضوع فتكلم مع من حوله وهم الشيوخ خير الدين ونعيم النعيمي ، والسعيد الزموشي وأحاطهم علما بالموضوع وأنا أسمع بواسطة السماعة كلامهم . ثم قال لي : أما الرهائن ، فهذه سخافة لا يمكن الخوض فيها اطلاقا ، وأما المفاهمة بين الجانبين فنحن

نحبذها على أن ترضى الجبهة بذلك ، وأنت أدرى بالطرق التي تسلك من أجل الوصول الى قادة الجبهة .

قلت لهارون : ان العلماء يؤيدون فكرتك ، وان كانوا يرفضون النظر فى قضية الرهائن ، ويرون أن الاتصال مفيد فى هذا الوقت ، وخاصة بواسطة رجال العلم والأدب وقد أخذت تفويضا بالقيام بالمسعى المطلوب .

تهلل وجهه وقال : هذا نصف النجاح وعليك يا سيدي اكمال النصف الآخر .

كانت وسيلتي للاتصال برجال الجبهة أو برجل من زعماء الجبهة يومئذ ، المرحوم عبان رمضان ، هو الأستاذ الفرنسي الحر الشهم مسيو ماندوز ، فخاطبته بواسطة الهاتف وشرحت له الأمر ، فوعد باجراء الاتصال اللازم واعلامي بالنتيجة خلال يومين أو ثلاثة أيام فأطلعت مسيو هارون على نتيجة المسعى ، وتواعدنا على اللقاء بعد ثلاثة أيام . وجاء فى اليوم المعين ذلك العالم الأديب الكبير ولم أكن بعد قد اتصلت بجواب ماندوز . وكنت أتجاذب أطراف الحديث مع محدثي عندما قرع الجرس وتناولت السماعة ، فاذا بالرفيق ماندوز يقول دون مقدمة ودون سلام ، ان الرفقاء يرون عدم جدوى هذا العمل ، لأنهم لا يثقون بهذا الشخص الذي يتصل بالولاية العامة اتصالا وثيقا ، ويرون فى هذا العرض مناورة خبيثة ، وانتهى الحديث فقلت لمخاطبي : أن الجماعة لا يرون اجراء اتصال الآن . فالى فرصة أخرى ، فظهر عليه الامتعاض والألم العميق ، ثم توادعنا وخرج . ولم أره بعد ذلك اطلاقا . الا أنني رأيت بعد الاستقلال كتابا نشره الأستاذ المذكور عن المأساة الجزائرية . وذكر فيه الحادث بصفة روائية كان للخيال فيها أكبر نصيب . ولا أنكر أن قيمته قد انحطت لدي درجات كثيرة عند

قراءتي لما كتب ، لكنني لا أزال أعترف له بشهامته فى الدفاع عن قضية الجزائر وهي فى أشد الأوقات حرجا وضيقا .

أما ثانيهما فهو رئيس حكومة فرنسا كي مولي وقد كنت أكره الرجل كرها شديدا من أجل تنكره لمبادىء الاشتراكية التي ينادي بها كشعار ويحطمها كعمل . ومن أجل تصريحاته المتوالية عن الجزائر ودفاعه عن مبدأ الأبدية الفرنسية بالبلاد ، وقد جاء العاصمة الجزائرية وظن غلاة المستعمرين أنه قدم من أجل عرض تسوية فيها مساس بمصالح الفرنسيين ، واستجابة لبعض رغائب الجزائريين ، فأساءوا استقباله وهتفوا ضده ، وألقوا على ركبه وابلا من البيض والطماطم ولا يهمنا ذلك ما دام واقعا بين الفرنسيين ونحن نسمع ونرى ونتعظ .

وما هي الا أيام حتى دق جرس الهاتف واذا بالمحدث مجهول يقول لي : ان مسيو كي مولي يود أن يتحدث معك قليلا ، فهل تستطيع القدوم للولاية العامة يوم الأربعاء الساعة الخامسة من أجل الاتصال به ؟ قلت : لو لم تكن الجزائر فى حرب ، ولو لم يكن الخلاف قد وصل بين الجزائر وفرنسا الى حد المذابح الجماعية واستعمال الوسائل الوحشية القذرة ، لكنت أتصل به مسرورا . أما والحالة كما ذكرت ، وأفكاره كما علمت ، فليست لي أدنى صفة تخولني الاجتماع برئيس الحكومة والتكلم معه حول وضعية الجزائر ، وهو سيد العارفين بمن يجب الاتصال به من رجال الجبهة التي تتولى قيادة الكفاح الجزائري ، وقطعت الحديث .

وبعد ثلاثة أيام جاءني صديق حميم ، شاعر جزائري جامعي ، لايزال موجودا الى اليوم ، وكان اتصالي به قليلا جدا ، وبعد سلام ومقدمة وجيزة وبعد أن تلا علي قصيدا جديدا ، لا أزال أحفظ منه بيتا :

ما أبدع الشعراء الا أنهم   يمشون فى هذا الوجود عرايا

قلت ضاحكا : ولكنك تمشي مكتسيا وتلبس لباسا أنيقا ؟

قال : أنا ألبس ماديا ، نعم لكني بشعري أتعرى وأظهر لمن يفهمني كما خلقني الله . ثم دخل فى الموضوع وقال : لقد اتصلت بمسيو كي مولي . وهو يائس حزين ، وقد رفضه الفرنسيون وابتعد عنه المسلمون ، ووالله ان نيته صالحة وفكره فى قضيتنا سليم ، وانه يريد الخروج من مأزق الحرب الجزائرية بصفة لا يجوع معها الذئب ولا يغضب منها الراعي . (حسب تعبيره) . وانه يود مخلصا أن يلقاك وأن يتحاور معك حول ايجاد طريقة شريفة للتفاهم بين الجانبين . وأنا أرى يا أخي أن تستجيب لهذا النداء ، حتى لا يضيع من بين أيدينا هذا الأمل .

قلت له ، وقد كنت اتصلت بهيئة الثورة وأخبرتهم واستصوبوا رأيي فى عدم الاجابة :

اسمع يا أخي هل مسيو مولي يعرف أن فى الجزائر ثورة ؟ قال مشدوها : بلا ريب ، قلت : وهل يعرف أن لهذه الثورة قيادة ؟ قال : لا شك فى ذلك ، قلت : وهل يعرف من هم قادة الثورة أو بعضهم على الأقل ؟ قال : أعتقد أنه يعرف . قلت : اذن يا أخي ، قل له انني شخصيا لست مسؤولا عن الثورة : وما أنا من قادتها . وليست لي أي صفة اطلاقا تخولني الاتصال به . فان كان حسن النية كما تقول ، فليأخذ مسؤوليته وليعلن اعلانا بصفة ما عن ترضية الجزائريين والاعتراف بحقهم ، وأن حل القضية يقع بواسطة مفاوضات بين الجانبين ، وعندئذ ليتصل بالقادة وأؤكد أنه سيجد الطريق مفتوحا .

قال : أنا آسف . قلت : أما أنا فلست آسفا . لأن من بذر الرياح فعليه أن يحصد العواصف .

العلماء وقضية المغرب الأقصى :

كانت جمعية العلماء المسلمين فى الجزائر ، وكانت صحيفتها البصائر أكثر الهيئات اشتغالا بقضية المغرب الأقصى الشقيق ، وأمعنها دفاعا عن حقوقه ، وأكثرها صرامة فى كشف المؤامرات الخبيثة القذرة التي دبرتها الاقامة العامة الفرنسية بالرباط ، وجرت خلفها جماعة من أوباش الرجعيين ، وأدناس النفعيين . فكنت فى البصائر أكشف الستر عن خباياهم وخفاياهم فى قسم : منبر السياسة العالمية الذي كنت أمضيه : أبو محمد . حتى اذا ما اقترفوا اثمهم العظيم ، ونفذوا مكيدتهم اللئيمة فأبعدوا سليل الأشراف العلويين عن ملكه ، وحالوا بينه وبين عرشه ، قدمت احتجاجا صارخا ملتهبا باسم جمعية العلماء ، تجدون نصه فى أواخر الجزء الثاني ، وشحذت قلمي وأمضيت عزيمتي واندفعت أكاد أقول جبارا فى ميدان الدفاع الشريف ، عن حق شريف ، وملك شريف . وتصلب المغاربة الأبرار وقاوموا وكافحوا وضحوا ونالهم من البلاء ومن الأذى ما يذكره الكفاح الوطني العالمي فى صفحاته الخالدة .

وما كان للباطل أن ينتصر ، وما كانت القوة الغاشمة الآثمة أن تكون لها الكلمة الأخيرة فارادة الأمة لا تقهر ، وجهاد الشعوب لا يضيع . فالاستعمار الفرنسي البغيض رأى أن حرب الجزائر قد أكلت يابسه ، وأخذت تهشم أخضره ، وخشي أن يمتد ذلك اللهب المقدس الى أطراف المغرب العربي من تونس الى الرباط فقرر من أجل المحافظة على الجزائر، وجمع كل القوى فيها . اعطاء حق الحكم الذاتي لتونس الذي ما عتم أن أصبح استقلالا كاملا ، بفضل جهود حزب الدستور ، وقائده العظيم الأستاذ الحبيب بورقيبة . كما قرر فتح مفاوضات مع أحرار المغاربة كانت نهايتها والحمد لله ، والفضل للكفاح العنيد ، ارجاع ملك المغرب المجاهد محمد الخامس رضي الله عنه وأرضاه ، والاعتراف لهذا القطر الشقيق المناضل البطل ، بحق الحرية والاستقلال .

وكانت رنة فرح وحبور بكامل البلاد المغربية . وقد علم الناس كافة أن مخالب الوحش الاستعماري المتآكلة قد أخذت تسقط الواحدة بعد الأخرى ، وأنه بعد الهند الصينية وكارثة الفرنسيين الدهماء فى ديان بيان فو ، وبعد تونس ، وبعد المغرب الآقصى ، سيأتي دور الجزائر لا محالة . أتى أمر الله فلا تستحجلوه ! اذن فالكفاح الى النهاية ، الى النصر المؤزر . وقد رأينا ما أنعم الله به علينا من استقلال تونس ، ومن استقلال المغرب ومما وجدناه من اعانة ومن سند عظيم من الشعبين ومن الحكومتين .

قررنا ارسال وفد من العلماء للرباط ليرفع تهنئة الجزائر المسلمة لهذا الملك العظيم ولهذا الشعب المجاهد الأبر . وكان الوفد مؤلفا من نائب الرئيس العربي التبسي ، ونائب الرئيس محمد خير الدين والأمين العام أحمد توفيق المدني وأمين المال عبد اللطيف السلطاني .

اني لا أرى غنى عن ذكر كامل المقال الذي نشرته عن هذه الرحلة فى العدد 344 من البصائر ، وهو أصدق تسجيل لأكبر حادث فى القطر الشقيق ، ولا يرهبني ، وأرجو أن لا يرهبكم طول المقال فعند الصباح يحمد القوم السرى . واليكموه :

ولسوف يعطيك ربك فترضى

ولسوف يعطيك ربك فترضى . .

هذه الكلمة تسترعي اهتمام الناظر حالما تهوي الطائرة بأجنحتها القوية فوق مطار الرباط فتلك اللافتة التي وضعت تحت صورة جلالة الملك المفدى تعبر عن شعور أمة ، وفيها خلاصة آمال شعب . ولا يكاد المؤمن يتلو تلك الآية المطهرة ، حتى تأخذه هزة من الوجد ، ويغمر قلبه قبس من النور ، ويدخل فجأة فى عالم الحقيقة المغربية

الجديدة بعد أن كان يسايرها بخياله معتمدا على انهار الصحف أو أمواج الأثير .

الحقيقة المغربية الجديدة ، شعب حي ، ناهض ، شاعر بحقوقه وبواجباته ، نفض عنه أدران الماضي المنحط ، ونزع عن ظهره أسمال المذلة الاستعمارية ، وقام بعد كبت طويل يقابل الحياة وجها لوجه ، يريد أن يأخذ منها حقه كاملا غير منقوص ، ويريد أن يسير مع ركبها فى الطليعة لا فى المؤخرة .

هذه هي الحقيقة التي ما فتئت اراها رأى العين ، طيلة الأيام الستة التي قضيتها بين الرباط والدار البيضاء ، فكانت أسطرها النورانية ظاهرة بارزة ترتسم على وجوه القوم ، يراها من له بصر ، ويفقه معناها من له بصيرة ، ويندمج فيها اندماجا من اصطلى بنار الكفاح ، وذاق لواعج النضال فى سبيل تحرير الأمة واستقلال البلاد .

لا يعرف الشوق الا من يكابده
ولا الصبابة الا من يعانيها

واني لست بذاكر فى هذه الفذلكة الوجيزة يوميات وفد جمعية العلماء المسلمين ، ولا تلك الحفلات التي أقيمت له كل يوم وكل ليلة ، ولا تلك المظاهرات الأخوية الودية الصاخبة التي كاد القوم يرفعون فيها أعضاء الوفد على الأكف ، وكانوا يهتفون فيها بحياة الأمة الجزائرية المكافحة هتافا يشق عنان الفضاء ، فذلك ما لا يتسع له المقام ، وذلك ما يعجز عن وصفه الفطاحل من حملة الاقلام ، انما اريد أن أشرك معي قراء البصائر فى بعض ارتسامات علقت بذهني ، ونقشت على صفحة قلبي ، ولهم علي فى ذلك حق أنا موفيه بحول الله .

البحر الخضم :

نزلنا مطار الرباط نحو الساعتين بعد نزول جلالة الملك المفدى . فكان الناس ــ رجالا ونساء وصبيانا لا يزالون فى تلك النشوة اللذيذة ، نشوة الانتصار ، بعد طول الكفاح والانتظار ، نشوة انتصار الحق على الباطل ، نشوة تحقيق الأمل ، بعد قهر عوامل اليأس والقنوط ، نشوة الاخلاص يرفع رأسه ، نشوة منظر الخيانة تحط انفسها السافلة فى الرغام .

وجدنا أنفسنا بعيد حفلة الاقتبال التي نظمها لنا حزب الاستقلال ، نخترق بحرا من النساء والرجال . وأشهد أنني لم أر فى حياتي شعبا قد أطلق لحبوره ولسروره العنان — فى دائرة الأدب والوقار والاحتشام — كما أطلقه شعب المغرب الأبي فى ذلك اليوم — فقد أمت مدينة الرباط مئات الآلاف من سيدات المغرب ومن سادته حتى أصبحت المدينة غاصة بالجماهير لدرجة أن السيارة لا تستطيع أن تشق طريقها الا اذا أفسح المجال رجال الأمن من شبان المغرب الأبرار فهي تشق الطريق فى ذلك البحر الآدمي الزاخر ، كما تشق السفينة طريقها فى عرض البحر فيلتحم الماء وراءها ولا يترك أثرا لمرورها .

وهل أحدثك عن أقواس النصر التي وضعها القوم على مسافة العشرين ميلا التي تفصل بين المطار والقصر ؟ لا أستطيع أن أقول أنها جميلة ، ولا أستطيع أن أقول أنها بديعة ، بل لا أسمح لقلمي أصلا بأن يخوض هذه المعمعة الوصفية . خشية خروجه منها منهزما وعزيز علي أن ينهزم . فتلك الأقواس الخلابة الخضراء اللون لم تقمها الأيدي ، انما أقامتها القلوب ، فما كانت أقواس نصر من النوع العادي ، انما كانت قصيدا من نظم أشعر شعراء الدنيا الذي هو الشعب ، فصاغه ملحمة خالدة تشهد الدنيا على ما فى قلبه من حب وفداء وآمال .

والعيون الناضرة ؟ هل رأيت العيون الناظرة ؟

لقد كنت طوال ذلك الطريق أحدق النظر فى أعين القوم الذين يحيطون بنا وقد أطلقوا العنان لسرورهم ولحبورهم ،

فأول ما لاحظته ، وأول صورة ارتسمت على صفحات قلبي فوق تلك الأرض التي صهرها النضال وطهرها الكفاح ، هي تغير نظرات القوم . أي والله ، لقد تغيرت حتى أصبحت تكاد ترى فيهم خلقا جديداً نشأ فى عالم الحياة نشأة أخرى . ولا زلت أذكر نظرات الشعب خلال شهر نفامبر 1949 لقد كانت نظرات ذابلة ، فاترة ، حائرة ، متألمة ، تنوء تحت أعباء المذلة الاستعمارية ، ويخبو نورها تحت عوامل الفناء الاستعماري ، وما يصحبه من جوع وعرى وجرح للكرامة ، وما يشبه اليأس من استرجاع حياة العزة والشرف .

أما اليوم فانك لا ترى أمامك ولا تبصر حواليك ، الا النظرات الحادة ، والعيون التي ترمي بالشرر ، وكأنك ترى

فيها دون مبالغة ولا اغراق ، نور الايمان ينبلج كفلق الصبح ، ونار العزة القومية والشرف المحمدي تتقد حتى لكأنك تحس لفحها على وجنتيك . لقد كان القوم ينظرون الى الحرية تناديهم فيلبون نداءها ، ينظرون الى الاستقلال الوطني وقد نهض كالعملاق المارد ، يكسر أغلال الأربعين سنة ، وينطلق بالأمة العظيمة لكي ترد العجز على الصدر ، وتستأنف كتابة الصحف المطهرة فى سجل التاريخ الشريف

قلت فى نفسي بلهجة المقتنع المؤمن : قد انتهى الأمر والحمد لله : ان شعبا أصبحت لرجاله ونسائه ، ولفتيانه وفتياته مثل هذه النظرات الحادة ، التي هي عنوان الاقدام والجرأة والعزيمة والثبات والايمان بحق الوطن ، لن يعود القهقرى ، ولن يرجع الى الوراء ، وطوبى لمن سالمه ، وويل لمن قاومه .

يا ليل طـل :

وخرجنا بعد المأدبة الفاخرة التي لا يعرف أسرارها الا كرام المغرب ، وكل من فى المغرب كريم ، نشق طريقنا فى مختلف الأحياء والحارات من المدينة وقد أصبحت كلها كتلة من نور فوق كتلة من نور ، حول كتلة من نور ، نور الكهباء ، ونور الوجوه ، ونور الضماير الطاهرة . وقد غمرتنا غمرة من السعادة كادت تجردنا من أدران الحياة المادية ، وتدخل بنا عالما نورانيا تحيا به الروح حياة الاشراق ، حيث لا تعرف الزمان ولا المكان ولا الحدود ، وحيث تلتئم وتمتزج مع الأراح الأخرى ، فاذا بها تمثل وحدة متجانسة تستمد نورانيتها من الروح القدس .

لم أحاول الكلام فى تلك الليلة ولم يخطر ببالي ان أعبر عن سعادتي بألفاظ وعبارات فقد جل المقام عن الكلام ، انما أدركت يومئذ أن للسعادة لسانا تستعمله وتجيد به التعبير عن شعورها وعن احساسها ، هو لسان الدموع ، لقد كانت عبراتي تسيل بسخاء وأنا الضنين بها فأشعر وهي تنسكب بتلك النشوة التي تعتري نفس الخطيب عندما يعبر عما يختلج بين جوانحه فى ميدان فسيح كل من فيه يسمع ويعي .

ان لم تكن تلك الليلة هي ليلة القدر التي بشر الله بها فى القرآن المجيد ، فهي ولا ريب ليلة القدر السياسي فى المغرب العربي وقد فصل الله بها بين عهدين : عهد الاستعمار الذي مات ، وعهد التحرير الرافع الرايات .

ولو لم نكن ننتظر صباح الغد ، صباح 18 نفامبر المشرق ، صباح الأمل ، صباح العمل لتمنينا أن تطول تلك الليلة ألف سنـــة .

ومن يدري ؟ لعلها تطول أكثر من ألف سنة . وان لم يكن ذلك فى تقدير الزمن فسيكون ذلك لا محالة فى تقدير الأثر .

شخص واحـد :

ما أكذب الصحفيين ـ ولا أبريء نفسي ان النفس لأمارة بالسوء ـ لقد قالوا أن مائتي ألف نسمة قد أحدقوا بالقصر صبيحة يوم 18 نفامبر ، للاستماع الى خطاب العـرش ، خطاب الأمة المغربية ، خطاب الحياة والأمل .

وقال البعض ان المستمعين كانوا يزيدون عن الثلاثمائة ألف رجل وامرأة . فاسمعوا مني كلمة الحق ، ودعوا أقوال الباطل والبهتان . لقد كنت فى مكان أرى فيه كل شيء ، وأسمع فيه كل شيء ، اذ ان ارادة المشرفين على تلك الحفلة الشعبية قد وضعت وفد جمعية العلماء فى المكان الممتاز الأول رغم ان ارادة الملك قد تعلقت بالغاء كل امتياز . فأستطيع أن أقول وأوكد وأن أشهد ، أن هذا الحفل الخارق للعادة الذي امتدت مساحته فوق عشرات الآلاف من الأمتار المربعة لم تحضره الا شخصية واحدة فقط ، لا غير هي شخصية الشعب المغربي . فلم تكن هنالك أجسام متنافرة ، ولا أرواح مستقلة ، ولا شعور متباين ، بل كنت أرى رأي العين جسما عظيما قد تناهى فى العظمة ، تسوده روح واحدة ، وتحركه ارادة واحدة ، ويهتف بلسان واحد ، ولم يكن الحاضرون الا خلايا فى ذلك الجسم الشعبي الهائل ، الذي أحكمت صنعه يد الله وسبحان الخلاق العليم .

ملك ومبدأ وأمـل :

أشرقت طلعة الملك ، فهل رايت العظمة مجسمة ، وهل رأيت مطامح شعب وآمال أمة قد تمثلت بشرا سويا ؟

أطل على ذلك الشعب الذي تكتل حول القصر ، فلم يقابل بهتاف ولم يجد أمامه أصواتا بشرية تحييه وتصرخ له ، كلا . بل قوبل من طرف تلك الكتلة الشعبية الهائلة بنوع من رعد جماعي قاصف هو صوت الأمة المغربية جمعاء ، صـــوت

أحرارها ، صوت شهدائها ، صوت منكوبيها ، صوت الذين سلط عليهم الظلم سوط عذابه ، وحاول أن ينتزع من بين ضلوعهم الأمل الذي ارتكز فى قلوبهم بانتزاع البطل الذي جعلوه رمز ذلك الأمل المنشود : وأخيرا صوت الأمة التي اخذت تمسك بين يديها بأعنة النصر ، بعد الجهاد الطويل والتضحيات التي لا يحصيها عدد .

وبلهجة رصينة ، ونبرات قوية ، وكلمات متزنة القى جلالة الملك خطابه التاريخي المظيم وقد بشر فيه بانتهاء عهد المحنة وحصول الاتفاق المبدئي حول قاعدة الاستقلال للوطن ، وانتهاء عهد الحماية ، وفتح مفاوضات بين الجانبين لوضع اسس جديدة للعلاقات بين فرنسا والمغرب وحماية مصالح الفرنسيين المستقرين فى البلاد . ثم بشر بفتح عهد الملكية المقيدة بالدستور الشعبي والغاء الكثير من التقاليد البالية والأوضاع السخيفة التي لم يبق لها مكان فى نظام الدول الحديثة .

لقد كان الشعب تلك الساعة ، مغمورا بنوع من السعادة الجماعية التي قلما تأتت لأمة من الأمم .

كان يمتع نظره برؤية العزيز الغالي الذي اتخذه الاستعمار هدفا لكي يصيب باصابته قلوب الملايين من المغاربة وأصابها فعلا فى الصميم ، وآلمها فبالغ فى ايلامها ، الى أن كانت الثورة ووقع الانفجار . وكان يمتع سمعه بذلك الصوت الذي قدر له منذ الأزل أن يكون المبشر بنهاية عهد الاحتلال وبزوغ شمس الاستقلال ، وكان يمتع قلبه بتلك المعاني التي يحقق كل معنى منها أمنية من أعز أمانيه .

وانتهى الخطاب الموفق فى زمجرة شعبية رهيبة ، امتزج فيها صاحب العرش الشعبي ، فلا يرى الرائي عندئذ الا أمة عملاقة مدت يديها الجبارتين فى قوة الاهية لا تستطيع مقاومتها ايدي البشر ، تمزق أغلال العبودية ، عبودية التقاليد ، وعبودية الاستعمار ، وتقيم جدارا شاهقا متينا ، هو جدار التحرر والاستقلال .

ان كانت ليلة الأمس ، هي ليلة القدر فى عالم السياسة ، فهذا اليوم هو يوم النشور ولا ريب .

ما لا اعين رات ، ولا اذن سمعت :

خرجت الأمة عن بكرة أبيها ، عشية ذلك اليوم ، تتظاهر بقوتها وبانتصاراتها وباتحادها ،مخترقة شوارع مدينة الرباط

الرئيسية فى نظام محكم وترتيب بديع ، وكان حزب الاستقلال هو الذي نظم هذه المظاهرة العظمى ، وسهر على حفظ نظامها بواسطة ستة آلاف من شبانه الأقوياء . وانسحب من المدينة طيلة أيام الحفلات الشعبية رجال الأمن الحكومي ، تاركين المسؤولية لرجال الأمن الشعبي . وأظهرت الأمة من آيات الانقياد وحفظ النظام واحترام روعة الحفلات ، ما أدهش الناس جميعا ، وأطلق ألسنة الأضداد ـ فضلا عن الأصدقاء ـ بالشكر والثناء .

وفى نفس تلك الساعة ، كان حزب الشورى والاستقلال ، ينظم مثل ذلك العرض العظيم وبمثل تلك المهارة والنظام بمدينة الدار البيضاء .

اخترقت صفوف المتظاهرين كما قلنا مدينة الرباط بأسرها وكانت الجمعيات الرياضية والكشفية والعلمية والمدارس والهيآت النسائية ومنظمات البنات ، وطبقات التجار وأصحاب المهن والحرف وجماعة اليهود نساء ورجالا وصبيانا وما لا يحصيه عدد من منظمات وتشكيلات أخرى يرتدي بعضها زيا خاصا بينما يحتفظ بعضها الآخر بلباسه المدني ، وفيه الزي الأروبي ، والزي المغربي . أما الفتيات والسيدات فمنهن من كانت ترتدي أحدث الأزياء العصرية بين مدنية وعسكرية ومنهن من كانت تحتفظ بالزي المغربي ، مع رفع النقاب فى الأغلب عن الوجوه التي كانت تنم عن قوة العزيمة ، وقوة الايمان ، وقوة الدفاع .

ولكل فرقة نشيد قومي ، ولكل ساعة ألحانها الحماسية الخاصة ، انما كان الجميع ينشدون من حين لآخر النشيد الوطني العام الذي يذوب فيه الجميع .

أما الأروبيون فكان بعضهم يشرف على ذلك العرض العظيم من شرفات المنازل واكتفى بعضهم الآخر بالانزواء داخل البيوت ، وايصاد النوافذ ، عملا بالحكمة الشعبية التي تقول : لا عين ترى ، ولا قلب يوجع .

واستمرت الوفود تسري رافعة الأعلام واللافتات . واستمر العرض على تلك الحالة نحوا من خمس ساعات الى أن جن الليل ، وحمل المتظاهرون المشاعل ، وأخذت الجموع تصل الى ساحة « الوديا » الكبرى المشرفة على البحر وملتقى عدوتي الرباط وسلا حول مصب نهر بورقراق ، فلا تكاد

تصل جماعة حتى تأخذ لنفسها مكانها المعين لها ، تحت اشراف هيئة حفظ الأمن الوطنية بصفة ربما عجزت عن الاتيان بمثلها أمهر فرق البوليس فى العالم .

فى ذلك الصعيد اجتمع قلب الأمة النابض وكان الثلاثمائة ألف رجل وامرأة الذين عمروا تلك الساحة العظمى لا يشعرون الا بأنهم جسم واحد مرتبط بحبل الله المتين .

وفى سقيفة قلعة الودايا الأثرية الشهيرة نصبت المقاعد لرؤساء الوفود ، وكبار الضيوف وقد أحل المشرفون على النظام وفد جمعية العلماء المسلمين فى صدر المجلس . وساد على الثلث مليون من البشر سكون عميق ، مؤثر يدخل الرهبة الى النفوس ، فلم تكن تسمع هنالك همسا ، وما كنت ترى تحت نور المشاعل الا تلك العيون الحادة النظرات، وتلك الأوجه التي ارتسمت فوق قسماتها آيات العزم والاقدام .

وفى خلال ذلك الصمت الرهيب انفجر فجأة من مئات آلاف الحناجر النشيد الوطني نشيد العزة والأمل والتضحية والانتصار . ثم خيم السكوت مرة أخرى ، وتطلعت الأبصار نحو خطيب الحزب ، رجل القوة والايمان والعمل المتواصل ، أخي المهدي بن بركة فالقى الخطاب السياسي الذي كانت الأمة تنتظره ، وبين موقف الحزب من مشاكل الساعة (الحكومة ، المفاوضات ، الحماية ، الاستقلال ، النظام الدستوري الخ .)

وما انتهى الخطاب الا فى بحر من الهتاف والأناشيد الحماسية والصيحات المرتفعة بحياةالحرية وحياة الاستقلال، والسير حتى النهاية حتى النصر العظيم .

وباتفاق بين منظمي الحفلة ، وبين وفد جمعية العلماء المسلمين ، أعطيت الكلمة لي ، وأشهد أنني عشت ساعتئذ أسعد وأجل ساعات حياتي : رأيت ما لم أكن أظن أن الله يمكنني من رؤيته ، وسمعت ما لم أكن أعتقد أن الله يطيل حياتي حتى أسمعه ، رأيت قسما من بلادي المغربية الواسعة يختطف حريته اختطافا ، ورأيته يحطم الباطل وينصر الحق، ورأيته ينشىء حياته ويشيد طريق مستقبله ، وسمعته يهتف لحريته التي نالها ويشيد بذكر استقلاله الذي تحصل عليه ، ورأيت الماضي الزاهر ورأيت المستقبل الزاهر يتصافحان ،

رأيت أرواح الشهداء قديما وحديثا تخفق فوق رؤوسنا بأجنحة الفوز والنصر وتحقيق الآمال ، وتذكرت ما تركت ورائي فى قطر الجزائر من آلام ، وآمال ودموع ، ودماء ومآسي ، واقدام وثبات ، فلم يكن صعبا علي أن أتكلم وقلت لقلبي : هذا يومك فقابل أمة المغرب باسم أمة الجزائر وقم بواجبك !

وتكلم قلبي ، فلا أستطيع أن ألخص لكم ما قال ، انما كنت أرى أن كلماته كانت تحل فى سويداء القلوب ، وكانت أقواله تقابل حينا بشهقات جماعية تسيل لها العبرات على الخدود وكانت تقابل أحيانا بهتافات تبلغ عنان السماء . وأذكر أن قلبي قد توجه بخطابه الى ادريس الأكبر ويوسف ابن تاشفين وعبد المؤمن بن علي وغيرهم من أبطال المغرب وشهداء الحرية ، وضحايا الاستقلال ، وبعد أن هنأ وأعلن مشاركة الجزائر فى الأفراح بعد ما شاركت فى الأتراح ، وحذر ونصح ، ونبه على الفخاخ المنصوبة فى طريق الاستقلال ، وأن الكفاح الحقيقي قد ابتدأ اليوم ، ختم قلبي خطابه بقول شوقي :

وما نيل الرغائب بالتمني

ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

ثم سرنا نشق طريقنا وسط الجموع التي بلغ بها الحماس درجة التهيج ، وتكاد الأيدي تتخطفنا ذات اليمين وذات الشمال ، لتعبر لنا عن تقدير الأمة الجزائرية وكانت الهتافات للجزائر المكافحة تملأ الفضاء الى أعلى درجاته ، حتى وصلنا أسواقا أخرى ومهرجانات شعبية أخرى ، ومنصات أخرى وخطبا أخرى .

ولم تذق جفوننا ليلتنا تلك طعم الكرى ، وهل كانت ليلة نوم ، وقد انبثق فيها فجر النهضة الكبرى ؟

أمة فى رجل ، وشعب فى ملك :

كانت صبيحة يوم 19 نفامبر ، هي الموعد الذي حدده أمير المؤمنين لمقابلة الوفود التي جاءت لتحيته ، والشرف بمصافحة يد الجهاد الكريم .

ولقد أراد أمير المؤمنين أن يعبر لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن شعوره نحوها وسامي تقديره لجهودها الاسلامية الوطنية فقرر أن يكون وفدها هو أول وفد يحظى بمقابلته . وكانت رحـاب القصر غاصـة بالوفود من كل جهة وكل نوع ، فنادى الحاجب : وفد جمعية العلماء وقفزت قلوبنا قبل أن تتحرك أجسامنا ودخلنا القاعة التي كانت خالية من الرياش وأدوات الترف ، انما كانت غامرة بالجلال والوقار ، تصدرها صاحب الجلالة ، سليل رسول الله ، فكانت بصائرنا تكاد تشاهد حول هامته الشريفة هالة من نور النبوة ، واقتبلنا بطل المغرب ، ورجـل التضحية ورمز الكفاح الشريف ، ببشاشة العظماء وبسـاطـة الميامين من الخلفاء ، وبعد أن وضعنا أرواحنا وقلوبنا وكل شعورنا فى أيدينا وصافحنا تلك الأكف المطهرة التي أوقفت الاستعمار عند حده باشـارة جبارة قاسية ، أذن لنا أمير المؤمنين بالجلوس فاتخذنا مقاعدنا حـول كرسيه فوق زربية مبثوثا . وقدمنا اليه فردا فردا عميد الجـزائريين بالمغرب ، صديقنا العلامة القرآني ، الشيخ أبو العباس أحمد التجاني .

وافتتح جلالة الملك الحديث بشكر الأمة الجزائرية شكرا حارا عما قامت به من واجب المؤازرة نحو الأمة المغربية ، وخص بالذكر جمعية العلماء وجريدة البصائر وشاد بذكر الأثر العظيم الذي أحدثته الجمعية بالقطرين الجزائري والمغربي وقـال أنه لا يرى فى نفسـه فـرقا بين الشقيقين المغربي والجزائري ، وان كفاحهما واحد لادراك غاية واحدة . ومما قاله : ان بلائي ومنفاي يقربان الأمة الى غايتها فيا حبذا لو تكررت هذه البلايا ، الى أن تبلغ الأمة أهدافها وكلفنا حفظه الله وأطال بقاءه ، بتبليغ الأمة الجزائرية كلها ورجال جمعية العلماء منها بصفة أخص وسائر المناضلين فى سبيل القضية الكبرى ، تحياته وسلامه وفائق اعتباره . وهذه أمانة نؤديها للأمة على صفحات البصائر . وما على الرسـول الا البلاغ .

وعلى الأثر تقدم الرئيس الشيخ العربي التبسي ، فألقى على مسامع أمير المؤمنين ، خطابا هو الحكمة وفصل الخطاب ، جمع فيه بقـوة روحانية غريبة ، سائر ما يجب أن يقوله العالم المسلم الحر المستقـل للملك المسلم الحر المستقل ، مما فيه سعادة الدارين ، والعز في الدنيا والتمكين للدين ، وساد المجلس خشوع عظيم . وكان أمير المؤمنين ينصت في تأثر ظاهر ، الى آن أتى الشيخ على آخر كلماته ، فأجابه الملك على كل النقط التي حواها خطابه ، وبين فيها القوة الغريزية التي أودعها الله فيه ، فكان ـ كما قلت في جوابي لجريدة العلم ـ يمثل في آن واحد ثلاثا من الشخصيات التي قل وندر أن اجتمعت في رجل : شخصيـة أمير المؤمنين المسلم الصادق الذي يعرف واجباته نحو ربه ونحو دينه . وشخصية الملك الموفق الذي يعرف قيمة الاضطلاع بأعباء الملك ويدرك عظم المسؤولية الملقاة على ولي الأمر ، وشخصية الزعيم الشعبي العظيم الذي يتولى قيادة الأمة ويعلم ، أن لا حول ولا قوة في عالم السياسة الحديث ، الا بالشعب .

وارتفعت أيدينا بالابتهال والدعاء لسعادة المسلمين واستقلال وحرية من لا يزال ينتظر منهم الفرج القريب وأن يمد العاملين المكافحين بروح منه ، الى أن يجيء نصر الله والفتح .

وغادرنا مجلسنا ، وقد أنزل الله سكينته على قلوبنا وتواعدنا على أن نلتقي من جديد يوم الفرحة الكبرى التي هي آتية لا ريب فيها ، ثم خرجنا ونحن سكوت ، ولم نكن ننظر حولنا شيئا انما كنا نرى تجاهنا شبح المستقبل السعيد ، يبتسم في زهو وفي خيلاء ، كان سكوتا أبلغ من الكلام .

لست بذاكر هنا سلسلة المآدب والحفلات والاقتبالات والخطـب ، فتلك سلسلة طويلة ثرية ربما عدنا اليها في فرصة أخرى ولكل مقـام

مقال ، انما أرى واجبا علي ، وأنا أستعد لكتابة الكلمة الأخيرة من هذه العجالة ، أن أشيد بيوم الصمت الرهيب ، يوم الدار البيضاء الخالد .

رأيت قبل رجوعي الاضطراري لعاصمة الجزائر أن أحج مع الوفد الى ميدان الكفاح العظيم الذي كانت الدار البيضاء مسرحا له ، فنالت فيه القمة فى التضحية وفى البلاء .

وسعينا حول المقطع المركزي (الكاريار سنترال) وزرنا شارع السويس زيارة العظة والاعتبار وترحمنا على أرواح الشهداء ، وأدركنا عظم تضحيتهم بعظمة النتائج التي تحصل عليها اخوانهم من بعدهم ، وكانت المدينة العظمى سادرة يومها فى صمت عميق لقد أوصدت كامل أبوابها ، وسارت فى سكون وخشوع تشيع شهداء الظلم الانساني ، وضحايا البغي الاستعماري ، الذين قتلوا فى السجن بواسطة الغاز المثير للدموع .

أربعمائة ألف رجل وامرأة شاركوا فى تشييع تلك الثلة من الشهداء الأبرار واستطاع القوم فى الدار البيضاء — حياهم الله وبياهم — أن يتغلبوا على عواطف الألم والحنق كما استطاع القوم فيها وفى الرباط وفى بقية المدن المغربية الأخرى أن يتغلبوا على عواطف الفوز والنصر والغلبة فلم تنع حادثة تذكر أثناء هذه المظاهرة العظيمة وبرهنت الأمة المغربية بصمتها الرهيب ، على أنها جديرة بالحياة وبالبقاء ، وأنها تشق طريقها قدما نحو العزة والسيادة والمقام الرفيع بين الأمم .

وليحيى الشعب الذي نصر الحق وقهر الباطل وأرجع عزته بقوة ساعديه . وليحيى الملك الذي ذهب بالاحتلال وجاء بالاستقلال .

وحي على الفلاح !. حي على الفلاح !

ثم نشرنا بعد ذلك ، أي فى العدد الموالي رقم 343 الصادر يوم 2 دسامبر 1955 الشكر التالي :

شكر وولاء وتقدير

الى حضرة صاحب الجلالة الشريفة الملك المفدى تقدم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على كاهل الاجلال والاحترام التشكرات القلبية والامتنان العميق ، لما حبا به وفدها من عطف سام اذ افتتح به سلسلة مقابلاته السامية ، وقدمه على سائر الوفود وأن هذه العناية من جلالة أمير المؤمنين تدل على تقديره للجهود التي تبذلها الجمعية فى سبيل الاسلام والعروبة والوطن المغربي المشترك .

ولقد رأى الوفد أثناء تلك المحادثة التاريخية المثمرة حول حاضر الأمة ومستقبلها وما ينفعها فى دينها ودنياها من صدق ايمان جلالة الملك وسعة اطلاعه ونياته نحو مستقبل هذا المغرب العربي ما زاده اعتقادا بأن القطر الشقيق سيشق طريقه تحت راية الحرية والاستقلال نحو النهضة الكبرى التي تتناول كل الميادين يسير فى طليعة الأمم باقدامه على التضحية والجهاد .

والشكر كل الشكر للشعب المغربي الواعي النبيل ، الذي قدر رسالة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حق قدرها وأشرك قطر الجزائر المجاهد فى كل هتافاته الحارة الصاعدة لأعماق السماء وحفاوته التي تجاوزت حد التصور برجال الوفد ، مما جعل هذا الوفد عاجزا عن ايفاء الشعب النبيل الكريم حقه من الامتنان .

ولحزب الاستقلال العظيم ولعلماء الأمة وأدبائها ورجال القلم والفكر فيها وسراتها وأعيانها الشكر الجزيل على تلك الحفاوة العظيمة التي تدل على مكانة جمعية العلماء فى سائر القلوب المؤمنة .

فجمعية العلماء المسلمين التي جاءت باسم الأمة الاسلامية الجزائرية تشارك الأمة المغربية الشقيقة فى أفراحها كما ساهمت من قبل بقسط وافر فى أتراحها تسأل الله أن يسجل للمغرب العظيم كل يوم نصرا جديدا وفتحا مبينا

الى أن تتم اقامة صرح الاستقلال التام بسواعد رجاله وعقول قادته وتضحية شهدائه ويتعانق فى ميدان الحرية والاستقلال والسيادة القومية التامة مع شقيقه الشـــعب الجزائري المكافح المناضل .

والى الأمام ونصر من الله وفتح قريب .

وفد جمعية العلماء الجزائريين

العربي التبسي : الرئيس
محمد خير الدين : نائب الرئيس
أحمد توفيق المدني : الأمين العام
عبد اللطيف سلطاني : أمين المالية

((البصائر)) فى ركاب الثورة :

سيكون هذا القسم هو آخر حديثي عن « العلماء والثورة » لأن العلماء أصبحوا منذ غرة نوفمبر 1954 الى يوم النصر العظيم سنـة 1962 جزءا لا يتجزأ من الثورة ، من الكفاح المسلح ، من كل مسعى قامت به الثورة العملاقة من أجل تحقيق رغائب الشعب المزمجر كالأسد الهصور .

قلت ، انني وضعت البصائر منذ اليوم الأول ، وباتفاق العلماء فى صـــميم المعــركة . وتوليت بتفــويض من المجلس الاداري التصرف بالبصائر وتحرير افتتاحياتها ولم يكن الأمر يسيرا .

فقد كان علي أولا أن أتولى النضال عن حق الشعب الجزائري فى الحرية والاستقلال وفضح الأساليب الاستعمارية القذرة التي كـــان الاستعمار الخبيث يرتكبها من أجل اذلال شعب حر أبي ، ومقاومة حركة ثورية متأججة الأوار ، والمد فى عمر استعمـــــار حـــكم عليه الله والشعب بالموت الذريع .

وكان علي ثانيا ، أن أتجنب فى مقالاتي ما تتخذ منه الحكومة ذريعة للايقاع بالبصائر وضرب جمعية العلماء . فكنت أزن كل كلمة يخطها يراعي بميزان دقيق . وأتحرى دون أن يصاب الموضوع بأذى .

وكان علي ثالثا أن أعرض كل مقال افتتاحي بصفة سرية بحتة ، على المكلف من طرف قيادة الثورة بالاشراف على العمل . أى أنه كان علي أن أكتب ما يرضي الضمير وما يعبر عن رغبة الشعب ، وما توافق عليه هيئة الثورة ، وما لا يجعل الحكومة تجد ذريعة لاعطاء الضربة القاصمة .

ولقد نجحت فى اعتقادي واعتقاد العلماء واعتقاد رجال الثورة نجاحا غريبا جعلني أعرض عليكم الآن بصفة مطولة لا يمل سماعها ولا يسأم قارئها ، نماذج مفصلة من افتتاحيات البصائر . خاتما بذلك هذا القسم : العلماء والثورة . وكنت أكتب فى تضامن أخوي كامل مع بقية اخوتي الجلة أعضاء لجنة البصائر : الشيخ العلامة عبد اللطيف السلطاني . الشاعر العظيم المبدع الشيخ أحمد سحنون . الكاتب المبدع والمفكر الكبير الشيخ حمزة بو كوشة ، المراقب العام لجمعية العلماء ، والمرحوم الكاتب الكبير الشيخ باعزيز بن عمر .

فقد كتبت بالبصائر ، أقول بالعدد 297 ، الصادر يوم 17 دسامبر 1954 تحت عنوان :

الجزائر فوق كف عفريت :

ان هذه الحالة الحالكة المضطربة لا يمكن أن تدوم طويلا ، فتعين على المسؤولين ايجاد حل سريع لها ، ووضع حد لأعمال القمع والزجر والتنكيل ، بالغاء النظام الاستعماري ، واحقاق الحق ، والاستجابة لرغائب الشعب المشروعة .

وليست أعمال التنكيل والزجر ، هي التي تضع حدا للمشكل الجزائري الذي ارتفع عنه الستار بعد طول خفاء ، فاذا به مشكل حاد عنيف ، يستدعي حلا عاجلا ، أكيدا ، ولا بد لحله من عمل ايجابي سريع .

لكن هذا العمل هو عقدة العقد . فمن طلب لحل المشكل الحاق الجزائر بفرنسا على قاعدة العمالات الفرنسية دون

ميز أو فرق أو محاباة ، ومع تمتع الجميع بكل الحقوق وبكل الواجبات دون تقيد بمكتب أول ومكتب ثان ، أو عدد مفروض ، قال له المستعمرون ما هذه الا نهاية الاستعمار ، وماذا يبقى بعدئذ من امتياز للمستعمرين ؟

ومن طالب ـ وهذا هو مطلب الأمة ـ بانشاء حكومة جزائرية ومجلس نيابي جزائري ، وديموقراطية حقيقية فوق أديم هذه الأرض ذات الطابع الخاص والميزة الخاصة، قال له المستعمرون فى شدة وصراحة : هذا هو الانفصال ، وهذه هي الجريمة فى حق الوطن ، وماذا يبقى للمستعمرين من امتياز فى نظام يعدم الطبقات ويعدم الامتيازات ؟

اذن فماذا يريد هؤلاء الناس ؟ وبماذا تراهم يعالجون الحالة الحاضرة ؟ وماذا يصفون لها من دواء ؟ علاجهم واحد ودواؤهم واحد ، ونظريتهم واحدة : المحافظة على النظام الاستعماري الحاضر ، واعدام وتشريد وسجن كل من يحاول أن يعارضه قولا أو كتابة أو عملا .

فالنظام الحاضر عندهم غاية الغايات ، والسلطة عندهم هي القديسة التي يجب أن تنحني أمامها رؤوس الجميع . فكيف يمكن مع هذه العقلية الشاذة أن ننتظر للجزائر خروجا سريعا من هذه الأزمة ، وتغلبا على هذا الموقف العصيب ؟

أليست الجزائر فى موقفها الحالي ، موضوعة على كف عفريت ؟

البصائر

وكتبت فى العدد 206 الصادر يوم 18 فيفري تحت عنوان « كتاب الأدغال » ما نصه :

***

لست أدرى ان كان مسيو سوستيل الوالي العام الجديد قد أطلع على « كتاب الأدغال » الشهير الذي ألفه كاتب الانكليز الأكبر (كيبلنج) لكن سواء كان قرأه أو لم يقرأه فقد أتاحت له الأقدار فرصة لمعاينة «كتاب الأدغال» ، من نوع جديد ، يجد فيه الأستاذ المبرز فى علم الفلسفة مجالا

فسيحا للبحث والدراسة ، ويكشف فيه عالم السلالات البشرية نوعا جديدا من أصناف البشر ، قضى عليه « شير خان » الغابة الخبيثة أن يعيش على هامش العالم الانساني، وأن ينزع من بين جنبيه كل ما يتمتع به البشر من عاطفة واحساس وتطلع الى السمو والتسامي .

فكتاب الأدغال الجديد ، هو قطر الجزائر ، و «شير خان» الخبيث الخسيس هو الاستعمار .

سيجد سوستيل نفسه وسط غابة وحشية موحشة ، ان كان يرى فيها خضرة فوراء الخضرة سباع وزواحف ومخالب وسموم . وان كان يرى فيها الجدران ، فخلف العمارات البؤس والشقاء والحقارة والهوان والعلة والجهل. وان كان يشاهد فيها عملا ونشاطا فوراء العمل والنشاط البطالة والاهمال ، وشر أنواع التمييز العنصري ومئات قضى عليهم «شيرخان» الغابة التعسة أن يعيشوا أشقياء ، وأن يموتوا تعساء .

لقد اقتسم ملوك الغابة الأسلاب فيما بينهم : فلهم الأرض، ولهم المال ، ولهم السلطة ، ولهم الحكم ، ولهم المناجم ، ولهم البنوك ، ولهم عيش الترف والنعيم ، وماذا تركوا بعد ذلك للعنصر الذي أرادوا اخراجه عن دائرة البشرية الحساسة والانسانية الشاعرة ؟ تركوا له الفقر والمرض والأمية والبطالة وعيش السائمة وحياة ضعة ومهانة لا ترضى بها أمة الكلاب فى عصرنا الحديث .

وقد وقف « شيرخان » هذه الغابة المزعجة خطيبا ، يقول للمنبوذين من أهلها : من قال برأسه هكذا ، قلنا له بسيفنا هكذا !

لكن المنبوذين فى هذه الغابة ، قد سئموا هذا العيش ، وملوا هذه المذلة ، وشاهدوا من خلال الجدران الكثيفة التي تكتنف غابتهم ، أقواما آخرين ليسوا دونهم خلقة وخلقا ، وليسوا أقل منهم حسبا ونسبا ، وقد نعموا بما تنعم به أمم الدنيا من حرية ومن رفاهية ومن عمل شريف مثمر ، ومن حكم شعبي صالح ، ومن صحة تناولت أرواحهم وأجسامهم معا ، فتنادوا فيما بينهم : أن هلم نعمل كي نعيش عيش بقية الناس ، وهلم نتضامن لنبلغ الشأو الذي بلغوه ، وهلم نكافح لنتخلص من خبث «شيرخان» ومخالبه الفتاكة .

وتململوا ، وتحركوا ، ودبت فيهم روح الحياة الحرة الجامحة التي تحطم أمامها كل معترض مهما كان قويا عاتيا، وتقدموا الى الأمام يخوضون معركة الحياة ، وقد حملوا أرواحهم فوق أيديهم ، يزحفون الى الأمام ولا يتقهقرون ابدا الى خلف ، وقد علموا أن حياة لا عزة فيها ولا شرف ولا علم ، ولا عمل ، ولا حكم ، ولا سلطان فيها ، لذويها ، انما هي حياة خسة ومذلة أفضل منها الموت العزيز ، والفناء الشريف .

هذه هي الصفحة التي سيقرأها بغاية الاهتمام كما نرجو ، م . سوستيل من « كتاب الأدغال » الجزائري .

اما السطور التي رسمت فوق هذه الصفحة المشوهة الفظيعة ، فقد كان بعضها أسود فاحما وكان بعضها أحمر قانيا ، وكان بعضها مرسوما بنزيف السم الزعاف .

ولو أننا أردنا أن نطلع على بعض ما فى هاتيك الاسطر المؤلمة لرأينا : فظائع وآثاما ، يأخذ بعضها برقاب بعض فى جهات الأوراس ، وجهات البلاد القبائلية ، وجهات أخرى . وسجونا ذات شجون ، قد تعددت وتضاعفت ، وغصت بالجموع الوافدة نحوها أثر الجموع من كتائب الأبرياء الذين أريد لهم أن يكونوا ضحايا الحاضر العفن .

وغرف تعذيب ، عجز قلم فيكتور هيجو عن وصفها فى كتاب (توركيمادا) تفتقت عنها أذهان نابشي قبور ديوان التفتيش ، فى أفظع عهودها وأقذرها .

وحزبا قوميا قويا منظما ، يحل وتشتت رجاله ، لا عن اثم اقترفوه ، انما لمجرد ظنون أو قصد الحيلولة بينه وبين العمل .

ومحاكم استعمارية طائشة ، تحكم بما أمر (شيرخان) لا بما أمر القانون ، فكل من وقف أمامها فهو مذنب ولا نصيب له الا السنون العديدة من السجن والتغريب ، ومئات الآلاف من التغريم مما ضجت منه المحاكم العليا ، فأصبحت تنقض الكثير من ذلك الغزل الاجرامي الفظيع .

وفصلا من القانون ، لا قانونية له ، يدعى الفصل 80 ، كان الأولى والأحرى أن ينفذ دفعة واحدة ، ومرة واحدة على كامل العشرة ملايين من المنبوذين سكان الأدغال

الجزائرية لا أن ينفذ عليهم فوجا أثر فوج لأن استمرار الحالة الحاضرة سوف يقضي عليهم جميعا باجتياز ذلك المعبر العفن .

ومدارس حرة ، التجأت اليها لغة الملايين العشرة ، حيث شردت من كل مكان ، واغتربت فى كل ميدان ، أسستها الأمة من عصارة كبدها ، وأنفقت عليها مما تنتزعه من لقم أولادها ، واقسمت بالله جهد ايمانها لتحيين بها ، أو لتموتن فداها ، فالخبيث «شيرخان» يتقدم نحوها بمخالبه الفتاكة، ونفسه الخبيثة المنطوية على اللؤم والدناءة فيحاربها ، وينازلها ويوصد بعضها ويمنع بعضها الآخر عن فتح أبوابه، ويصدر أحكامه الزاجرة على معلميها وعلى مديريها وتتفنن محاكمه فى اصدار هاتيك الأحكام بصفة تصاعدية لا يعلم أحد أيان تنتهي .

ودينا اسلاميا مقدسا أجمعت أمم الأرض على احترامه والاشادة بسمو تعاليمه وروحانيته الفاضلة ، يداس ويمتهن ويحتقر ، لأنه دين العشرة ملايين من المنبوذين فى هذه الأدغال ، وتتولى السلطة أمره مباشرة فتتحكم فيه كما تشاء ، وتحكم فيه من تشاء ، وتجعله وتجعل مساجده التي أمر بها الله أن ترفع ، وسيلة من وسائل الدعاية ، وأسلوبا من أساليب مكافأة العبيد والخدام والخول ولقد شهد بذلك شاهد من أهلها .

وكتبت فى العدد 308 الصادر يوم 4 مارس 1955 أقول :

* * *

هنا فى المغرب الأقصى ،وفى تونس ، قد أوصدت ابواب السجون والمحتشدات والمعتقلات على عشرات الآلاف من فتية الأمة ، وكهولها ، ومن رجال الرأي والتدبير والعمل ، فهل تفتح أبواب هاتيك المعتقلات وهل تقذف السجون من فيها الى ميدان الحياة ؟

وهنا فى المغرب العربي اضطهاد فظيع وظلم شنيع وتمييز عنصري ضجت منه الأرض وانفطرت له السماء ، فهل يزول هذا الظلم ، وهل ينتهي هذا الاضطهاد ، وهل تدول دولة الميز العنصري المقيت ؟

وهنا فى الجزائر على الأخص ، أمة كاملة قامت السدود المنيعة بينها وبين الحياة ، وحيل بينها وبين عيش الكرامة ، وبذلت الجهود تتلو الجهود ، ما يزيد عن القرن ، لاخراجها عن الدائرة الانسانية ، وجعلها فصيلة من فصائل الحيوانات العجم ، تمشي على رجلين كالانسان انما تكدح عن غير ارادة ومن دون فائدة لها كالحيوان .

وهنا فى الجزائر توجد حكومة وادارة ، وسلطة ، لكن لا يوجد ضمن كل ذلك من يمثل أبناء البلاد ، او من يشعر بوجودهم ، فالحكومة والسلطة غريبان عن العشرة ملايين من المسلمين والعشرة ملايين من المسلمين غرباء عن السلطة والحكومة .

وهنا فى القطر الجزائري مجالس نيابية لم يكتف الحكم الجائر يجعل ابناء البلاد فيها أقلية ضئيلة ، بل عمد الى التدليس والغش والتزوير ، وارتكاب الأعمال التي تعاقب عليها كل القوانين المعمول بها ، لابعاد نخبة الأمة عن مقاعد النيابة خوفا من اصداعهم بكلمة الحق ، وعملهم ضد مصلحة الاستعمار ، ومد يدهم للجموع المسكينة الجائعة ، ووضع جماعة من الذين رضي عنهم الاستعمار ورضواعنه، على مقاعد تلك النيابة الزائفة ، بعد أن اختبروا فى ظلمات الحجرات .

وهنا أمة تموت جوعا ، بعد أن انتزعت منها الأرض ، وما تحت الأرض وما فوق الأرض .

وهنا دين يضطهد ، ومعابد تغتصب ، وأوقاف تختلس، واهانة مستمرة دائمة تمس المسلمين فى أقدس مقدساتهم كل يوم وكل ليلة .

وهنا عربية هي لغة الوطن ولسان الأمة ومفتاح الدين ، لا تعرفها الحكومة ولا تدرسها مدارسها الابتدائية ، ثم هي تحارب ، وتضطهد ، وتقاوم شر أنواع المقاومة ، ويساق الفدائيون الأبرار من معلميها ، وهم خير البريئة فى أرضنا ، الى المحاكم الزاجرة كأنهم الجناة وكأنهم المجرمون ، وتنهال عليهم الأحكام ، أمس واليوم وغدا ، ويطلبون اعادة الحكم فلا تزيدهم المحاكم الا نكالا .

هذا قليل من كثير من الحقائق الجزائرية يا مسيو ادڤرفور ، فهل يغير منها شيئا كلامك الحلو ، ومنطقك المعسول ؟

لكني لا أختلف اليوم معك الا فى أمر واحد : لقد قلت : ان لم تفتحوا فى وجه القوم أبواب الأمل ، فان غيركم هو الذي سيفتحه لا محالة .

هذا غلط اريد أن أصححه : ان لم تفتحوا أبواب الأمل على مصراعيها فى وجه الأمة ، فان الأمة وحدها ـ لا غيرها ـ هي التي تتولى فتح ذلك الباب .

البصائر

* * *

وفى العدد 311 ، من مقال عنوانه : « الاحتراق الخطير » قلت :

فالأمة لا تكاد تتصل بهذا العدد من البصائر ، حتى تكون حالة الطوارىء العسكرية قد فرضت على كامل البلاد أو على بعض أجزاء البلاد ، ونحن ننتظر أن يشتد الضيق من جراء ذلك وأن يعم الخطب ، وأن ينال الأذى ـ سائر جماعات الأمة ، سواء فى الجهات التي سوف تنقض عليها تلك الحالة الاستثنائية أو غيرها من الجهات ، لكننا نعلم علم اليقين ان الأمة ستتحمل بصبر وجلد وثبات الحالة الجديدة كما صبرت وثبتت وتجلدت من قبل ، حتى أصبحت مثال الصبر والثبات والجلد فى العالمين ، وستخرج الأمة من هذه المحنة الجديدة كما خرجت من سائر المحن السابقة ، الكثيرة الطويلة ، ظافرة منصورة ، معتزة بثباتها فخورة ، فما قضت القوة على آمال شعب ، وما هاض الاضطهاد جناح أمة ، بل هذه الأعمال الزاجرة وهذه التضييقات المتوالية ، لا تزيد الأمة الا قوة ومتانة ، والسبيكة الطيبة لا تخرج الا من الأتون المتأجج .

وسيجىء يوم ليس ببعيد ، تنتهي فيه هذه المحن ، وينبثق فيه نور الصبح الأبلج ويحمد القوم السرى .

وان غدا لناظره قريب .

اما نحن فى البصائر ، فمهما كانت الظروف ، ومهما كانت التضييقات الجديدة ، ومهما كانت القيود ، فان كفاحنا مستمر وأن نضالنا متواصل ، وأن ثباتنا لا تزعزعه الاعاصير بحول الله . نقف فى ميدان الدفاع عن حق الأمة أشرافا ، أو نحن نسقط صرعى فى ذلك الميدان أشرافا .

هذا هو العهد الذي نقطعه للأمة أمام الله ، وكفى بالله شهيدا .

البصائر

* * *

وجاء في مقالي المنشور بالعدد 313 ، تحت عنوان : « جابهوا الحقيقة بشجاعة وعزم » ، ما نصه :

ان معالجة الحالة المزعجة في القطر الجزائري ، والتي توشك أن تنقلب انتقاضا عاما كما يقول وزير الداخلية ، لا تكون باستعمال وسائل الشدة والعنف والاكراه ، ولا تكون بارغام الناس على كبت عواطفهم ، والسكوت عن آلامهم ، ولا تكون بالتغاضي عن المرض العضال واتهام الأجنبي بايقاد نيران الفتنة في البلاد ، بل لا تكون الا بالاقدام الجريء على تغيير الحالة وقلب الأوضاع ، والاستجابة لرغائب الشعب العادلة المشروعة ، وتقويض النظام الاستعماري المفروض على البلاد بحكم القوة والجبروت ، وتمكين الأمة ، كل الأمة، من معالجة قضاياها ، وليكن ذلك وليد مفاوضات صريحة عميقة واسعة النطاق مع الرجال الذين يمثلون الأمة تمثيلا صحيحا .

هذه هي الحقيقة الوحيدة فجابهوها بشجاعة وعزم .

البصائر

* * *

ونشرت في العددين 318 و 319 ، الصادرين بتاريخ 13 و 20 ماي 1955 ، نص ما أجبت به جريدة « الجزائر الجمهورية » عن أسئلة وجهتها للنخبة الجزائرية واليك هو كاملا :

سؤال : يقول البعض أن الجزائر ليست الا ثلاثا من المقاطعات الفرنسية ، ويقول البعض الآخر أن الأمر خلاف هذا ، فهل يمكن فض المشكل الجزائري باعتباره مجرد مشكل اداري ، ويحكم القطر الجزائري كما تحكم ابروتانيا والبروفنس مثلا ، بالبلاد الفرنسية ؟

الجواب : ان رجال التفوق والاستعمار يستعملون أخس وأسفل وسائل النفاق الانتفاعي حتى يتجاهلوا عمدا الحقائق التاريخية والجغرافية يزعمون أن بلادنا مجرد عمالات فرنسية . ان القطر الجزائري لم يكن أبدا ولن يستطيع أن يكون قطعة من فرنسا .

فنحن نرى النفاق من جهة ، وذلك لأن رجال التفوق لا يسيرون فى البلاد سيرة تجعل أعمالهم مسايرة لادعائهم وجميع الناس ها هنا يعلمون أن هذا التركيب المزجي لا يمكن أن يقع أصلا ، لأنه يقضي على امتيازات وتفوق البعض ولأنه يخالف عاطفة ورغبة الآخرين . ونحن نرى تجاهل الحقائق ونكران الواقع من جهة أخرى . فهؤلاء المستعمرون يريدون فيما يظهر كسب الوقت ، بتغافلهم المصطنع عن وجود الوحدة الجزائرية التي التأمت والتحمت فى بوتقة قرون عديدة من التاريخ .

ان أمة الجزائر عاشت دائما فى كنف الاستقلال . وهل تستطيع يد أن تمتد الى كتب التاريخ فتمحو منها تلك الصحائف التي تسجل ذكر ممالك نوميديا فى التاريخ القديم، مع أبطال ماسينسا ويوغورطة أو تعدم ذكر دولة بني حماد فى بجاية ، أو دولة بني زيان فى تلمسان أو الدولة الجزائرية المستقلة ضمن دائرة الخلافة العثمانية الواسعة ؟ لننظر الى التاريخ نظرة مقارنة ، فان بين صحائفه أشياء يجب أن تعرف . أن التاريخ يثبت لنا أن الوحدة الجزائرية قد وجدت بصفة فعلية واقعية قبل أن تتكون الوحدة الفرنسية أو الوحدة الطليانية أو الوحدة الالمانية ، وأن حدود قطر الجزائر لم تتغير منذ ما يزيد عن الأربعمائة وخمسين عاما، ثم أن الأمة الجزائرية وهذا من صميم الواقع لم تقبل أبدا فى تاريخها الرضوخ لأي سلطة أجنبية . وليس هنالك من دليل أفصح من تتبع آثار الاحتلال الروماني الطويل . فهل أبقى الرومانيون بعد قرون عدة فى هذه البلاد ، الا خرائب خرساء تصفعها الرياح ؟

لكن لنتخذ من الواقع حجة تؤيد حجة التاريخ ، ولنتخذ هذه الحجة من نفس أصول الحكم الفرنسي ، ومن صميم المؤسسات الفرنسية التي هي المرجع عندهم لكل شيء . ألم يقل مجلس الدولة الفرنسي (الكونساى ديتا) فى حكم شهير له ، ان قطر الجزائر يكون وحدة خاصة به ليس لها

من مماثل (باللغة اللاتينية كما هو بالأصل : سوى جينيريس) وتشمل ثلاثا من المقاطعات منفصلة بصفة قانونية عن مجموع المقاطعات الفرنسية ؟

انه توجد اليوم بالقطر الجزائري حركة وطنية واضحة علنية ، تظهر فى حياتنا الداخلية كما تظهر فى المقامات العالمية .

لكن أعين المتعنتين تريد أن لا تشاهد تلك الحركة . كذلك بتجاهلها بعض الذين لا يزالون يغطون فى نومهم ويستسلمون للأحلام ، ولم يعلموا بعد وجود القوانين العالمية التي تنادي بارجاع السلطات للشعب .

والحقيقة التي لا ريب فيها ، هي أن المستعمرين يفرون من الحقائق فرارا ، لكن فرارهم لا يمنع أن تكون الحقيقة هي الحقيقة ، وأنها ثابتة لا تتغير ، فهذه الحقيقة الموجودة التي يفرون منها ، هي أن الجزائريين قد أثبتوا بتاريخهم وبوضعيتهم الجغرافية وبلسانهم العربي وبرغبتهم الجامحة فى الحفاظ على وحدتهم ، وبكفاحهم الطويل المتواصل فى سبيل الحرية ، انهم يريدون الارادة الراسخة أن يبقوا جزائريين فوق اديم وطن جزائري حر أما من ادعى خلاف هذا فهو لا يريد ـ وهذا هو منطق الحوادث ـ الا أن يؤيد سلطان القوة وسيادة النظام الاستعماري .

فالنتيجة من كل ما ذكرته جوابا عن سؤالكم هو أن القول بأن قضية الجزائر تفض بصفة ادارية بحتة ، انما هو قول من باب السخرية والازدراء .

اعلموا أن مشكلنا الجزائري انما هو مشكل سياسي صميم ، مع كل ما تحويه هذه الكلمة من عوامل تاريخية واجتماعية ولغوية .

أما حل هذا المشكل ، فلا يمكن أن يقع الا بصفة واحدة، الا وهي الاعتراف للجزائريين بحقهم فى ادارة بلادهم بأنفسهم .

سؤال : انه حقا من الصعب تجاهل وجود مشكل جزائري : انما يقول البعض أن هذا المشكل يفض بواسطة استعمال القوة للمحافظة على الهدوء لسلامة السيادة الفرنسية . بينما يقول البعض الآخر ان هذا المشكل لا يفض

الا بواسطة مذاكرات على أوسع طريقة ممكنة مع الجميع فى دائرة احترام حرية القول والنشر والاجتمـــاع ، فأي الطريقين تفضلون ، ولماذا ؟

جواب : لقد قال مسيو ميتران مـــرة : ان الجزائر فرنسية ، لأن هذه هي ارادتنا . وأن الجزائريين يستطيعون أن يقولوا كذلك : ان الجزائر جزائرية ، لأن هــــذه هي ارادتنا .

لكن ، لنرتفع بالمناقشة الى ميدان أعلى . اننا اذا قلبنا صفحات التاريخ الفرنسي رأينا أمثلة ناصعة من الجـواب على مثل هذه المزاعم اللفظية ، فملوك فرنسا الأقـــدمون كانوا يكتبون أسفل قوانينهم ومنشوراتهم هذه الكلمة : هذا ما يستوجب سرورنا الجميل ! فهذا السرور الجميل أوصل ملوك فرنسا الى الثورة الفرنسية الكبرى سنة 1789 .

وحديثا قال مسيو بول رينو فى أوائل الحرب العالميـة الثانية : اننا سنغلب لأننا نحن الأقوى فهذه الكلمة ساقت فرنسا الى كارثة عام 1940 .

واني أستطيع أن أؤكد أن كلمة مسيو ميتران : هذه هي ارادتنا ، قد أوصلت الحالة فى قطر الجزائر الى الدرجة التي هي عليها من الشدة والخطورة .

ان فرنسا قد استقرت فى البلاد الجزائرية منذ 125 عاما ، لكنها خلال قرن وربع قرن من التاريخ ، لم تجد لادارة القطر الجزائري الا حلولا مبنية على القوة وفرض الارادة . وغني عن الذكر أنه لم ينجح أي حل من هذه الحلول ، وقد أخذت الهوة بين فرنسا والقطر الجزائري تزداد اتساعا يوما بعد يوم ، الى أن أصبحنا نسمع جهارا الكلام على « الطلاق » .

أقول لكم صراحة ، ان الاستمرار على غلطات الماضي ، لا يؤدي الا الى الفتق الذي لا يرتق من بعد أبدا . وان القوة لم تفض قبل أي قضية ، ولن تفض من بعـــد أي قضية .

ان القطر الجزائري الذي سيحيا حياته الجديدة لا يرى النور الا بواسطة مذاكرات حرة صريحـــة بين الحكومة الفرنسية ، وبين الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائري دون أدنى ميز عنصري أو ديني .

سؤال : يقول البعض : اننا اذا نفذنا برنامجا واسعا للأشغال العامة ، وأصلحنا الزراعة ، ورفعنا مستوى عيش السكان ، فانه لن يبقى من أثر لمشكل جزائري . بينما يقول البعض الآخر أن هذه الوعود العتيقة التقليدية لا تكفي أبدا ، وأنه يجب تمكين الجزائريين من وسائل التنفيذ ، وذلك بفض المشكل السياسي قبل كل شيء . فما رأيكم ؟

جواب : ان المشكل الأساسي فى القطر الجزائري هو المشكل السياسي البحت ، فالنظام الاستعماري المفروض على بلادنا قد قسم سكان القطر الجزائري الى قسمين : قسم مستثمر وقسم مستثمر (بالفتح) .

واننا اذا مارجعنا بأنظارنا الى تاريخ السياسة الاستعمارية الفرنسية بالبلاد الجزائرية رأينا أن هذه الوعود قد تكررت مرارا عديدة وأن برامج الأعمال الضخمة واصلاح النظام الزراعي ، ورفع مستوى معيشة السكان الى غير ذلك من الوعود التي تتكرر دوريا لا تستفيد منها فى النظام الحاضر، على فرض انجازها ، الا الطبقة الممتازة المحتكرة أما رجال الأمة الجزائرية سواء أكانوا من النخبة المفكرة ، أو من العمال أو من المزارعين البائسين فانهم لم يستفيدوا ولن يستفيدوا من هذه الأعمال شيئا ، وسبب هذا الحرمان المزمن أمر بديهي ، ألا وهو أنهم غائبون دائما عن مواطن الانتفاع بهذه الأعمال ، فالمسلمون غائبون لا وجود لهم فى الحكومة المركزية وغائبون فى المجالس المنتخبة ، وغائبون فى الادارات والمنظمات الحكومية . فقبل التفكير فى احداث برامج أعمال انشائية كبرى ، وقبل التفكير فى اصدار دعوة لرؤوس الأموال الأممية للمشاركة فى هذه الأعمال وتمويلها ، يجب أن تعطى للشعب الجزائري السلطة الحقيقية لكي يتمكن من ادارة هذه الأعمال والمؤسسات ولكي يراقب سيرها ، وينتفع منها .

فالواجب اذن هو أن تقع البداية بالبداية ، وأن الشعب الجزائري قد وصل الى درجة من الوعي والانتباه ، لا تسمح له مطلقا بأن يقتنع بوعود جديدة ، وأن يرضى باصلاحات يمليها عليه الغير .

ان الشعب يريد أن يكون حاضرا فى كل مكان ويريد أن يفصح بنفسه عن حاجاته ورغائبه .

سؤال : فيما يتعلق بالفروق الموجودة بين القطر الجزائري وبين فرنسا ، في الميدان الاجتماعي كالضمان الجماعي ، وكالمنح العائلية ، وكالأجور مثلا ، يرى البعض أن هذه الفروق معقولة ، ويرى البعض الآخر غير ذلك فما رأيكم ؟

جواب : ان هذه الفروق حجة دامغة لا مرد لها ، ضد الذين يسيرون مع خيال المقاطعات الفرنسية . أنهم يقولون من جهة أن الجزائر هي فرنسا . لكننا نرى من جهة أخرى نقضا غريبا لهذا الادعاء ، بوجود تلك الفروق التي تطعن الكرامة الانسانية .

ان هذه الفروق تجحف دائما بحقوق عمالنا ومحترفينا، وانها الدليل الصادق على أن النظام الاستعماري يريد أن يستمر على الحكم بواسطة التفقير والتجهيل .

والذي يزيد في شناعة هذه الجريمة هو أن كل الناس يعلمون أن الأمة الشغيلة بقطرنا الجزائري ليست في غالبيتها الا طبقة ثانوية ، وأنه يلزمها ضمانات عديدة زائدة في الميدان الاجتماعي ، لكي تتمكن من الحياة والبقاء . وانني لاأستطيع أن أطيل البحث في هذا الميدان الشاسع ، لأن بعض الاخصائيين كالسيد الأخضر قايدي ، قد سبقوني باعطاء البيانات الضافية عنه .

انما أقول كلمة صريحة ختامية لهذا السؤال : لو كانت الأمة صاحبة سيادة وصاحبة حق في تدبير شؤونها ، لما كنا نشاهد اليوم مثل هذه الأمور ، لهذا فالجواب الحقيقي عن هذا السؤال انما هو موجود ضمن الجواب عن سؤالكم السالف الذكر المتعلق بالمشكل السياسي .

سؤال : لو سألناكم أخيرا عن نوع العلاقات الجديدة التي يجب أن تكون بين فرنسا وبين القطر الجزائري فأي نوع من هذه العلاقات تفضلون :

بعض اصلاحات لا تمس جوهر النظام الحاضر ؟ أو ادماج الجزائر في النظام السياسي الفرنسي ادماجا تاما ؟ أم تفضلون اقامة علاقات جديدة مبنية على قاعدة احترام مصالح الجانبين ، على قاعدة التساوي التام ؟ أم ترون حلا آخر ؟

الجواب : ان الذي ينظر الأمور بعين الواقعية المجردة ، يجد الجواب على هذا السؤال سهلا ميسورا ، فاذا مادرسنا المقدمات دراسة امينة نزيهة ، خرجنا منها بنتيجة بينة جلية لا غبار عليها :

انني معتقد تمام الاعتقاد أنه لا يوجد فى صفوف المتفوقين الاستعماريين من يجهل أن المشكل الجزائري الذي كونه جشعهم واستئثارهم ، سوف يجد حله النهائي ، قرب الأمد أو بعد ، باحراز الأمة الجزائرية على حقها فى الحكم المستقل .

انهم يعلمون هذا ، ومن أجل ذلك نراهم يبذلون اقصى ما لديهم من الجهود لتأخير تلك الساعة التي هي آتية لا ريب فيها .

ان الحل النهائي للمشكل الجزائري انما هو احراز الدولة الجزائرية على نظام الحكم الذاتي بواسطة تسامح حر شريف ، على أن يكون لهذه الدولة الجزائرية نظامها الحكومي المستقل ونظامها النيابي الحر ، ونظامها القضائي الخاص بها .

ان الجزائري سيجد نفسه بواسطة نظام الحكم الاستقلالي وطنيا حرا ذا كرامة وعزة فوق أديم وطن حر عزيز غير خفي الاسم ، وسينشيء مع البلاد الفرنسية علاقات جديدة على قاعدة احترام المصالح المشتركة والمتبادلة ، وعلى قاعدة التساوي التام بين المتعاقدين .

ان رجال التفوق الاستعماري سينتهي بهم الأمر لا محالة الى الاعتراف بهذه البديهيات المعقولة . واني لأختم كلامي بأن أقدم لهم — للموعظة والذكرى — هذه الكلمات التي قالها فقيدنا الشيخ الجليل محمد بن رحال عندما اقتبل رئيس الجمهورية مسيو لوبي ، سنة 1903 :

« ان القطر الجزائري يتقدم بصفة سريعة جدا . وأن هذا التقدم سيكون مع فرنسا اذا أردتم ذلك يا سيدي الرئيس ، لكنه يستمر بدون فرنسا ، أو يستمر ضد فرنسا .

ان هذه الجملة الصادقة تجسد مكانها اليوم فى حالتنا الحاضرة أما نحن فقد اخترنا طريقنا . وعلى فرنسا أن تختار اليوم طريقها .

* * *

ومما جاء فى مقالي : « ظلمات بعضها فوق بعض » ، المنشور بالعدد 321 الصادر يوم 3 جوان 1955 :

كل شيء يجري فى هذا القطر التعس المنكوب ، على غير ما تأتي به الرسميات ، وعلى عكس ما يقوله المسؤولون . واننا لا ندري الى أي حد ينتهي هذا التناقض بين الأعمال المحسوسة والأقوال النظرية ولا ندري متى ينتهي هذا التضليل الذي يجعل البلاد الجزائرية لمن يقرأ عنها شيئا ، غير البلاد الجزائرية لمن يراها رأي العين .

ولا أسوق المثل العديدة عن هذه الحقائق التي لا تحتاج لاقامة الدليل ولا أستشهد بالدستور الجزائري الذي نص صريحا على حرية الدين ، ورسمية اللغة العربية فاذا بالدين لم يستعبد كما هو مستعبد اليوم ، والعربية لم تحارب ولم تضطهد كما هي تحارب وتضطهد اليوم ، ولا أتكلم عن الأحواز الممتزجة ونظام بلاد الجنوب ، وقد قرر الدستور الجزائري الغاءها ، فاذا بالقوم يتغنون بمحاسنها وينشدون لها بالأناشيد بعد ثمانية أعوام من ذلك ، ولا أستشهد بمئات الشواهد التي تتزاحم حول فكري وحول قلمي ، فليست هي موضوعي اليوم ، بل أكتفي بشاهد واحد جديد ، فظيع ، عنيف ، أخجل من نفسي وأنا أكتبه ، وأعتقد أن حمرة الخجل ستصبغ وجوه بعض الرسميين اذا ما هم قرأوه ، ذلك الشاهد هو المحتشدات التي سميت تعمية وتضليلا « بمراكز الايواء » والتي نستطيع أن نذكر اليوم شيئا عنها ، وعن الذين ساقهم سوء طالعهم الى «الضيافة» بها .

لقد قال الرسميون جميعا أنه لن تقع فى قطر الجزائر محتشدات ، وصرح بذلك وزير الداخلية من فوق منبر المجلس الوطني ، وصرح بذلك الوالي العام الذي كان من أبطال المقاومة والذي ذاق تحت نيران الألمان طعم الظلم والاستبداد الوحشي ، وقاد تحت امرة الثائر الفرنسي الاول فرق الفداء والتضحية ، وقال انه لن يسمح بأن

يقع فى القطر الجزائري تحت سلطته وأيام ولايته شيء يشبه ما كان قد ثار ضده وحمل بنفسه السلاح لمقاومته فى بلاده .

اذن ، فبودي أن يعلم الرسميون ـ ولعلهم لم يعلموا ..ـ ما هو واقع بمركز الاحتشاد ، أستغفر الله وأستسمح الرقابة ، بل بمركز الايواء والضيافة ، « بقلتة السطل » فى الصحراء القاحلة المتدة الأطراف بين قصر البخاري والجلفة ، وبودي أن يعلم الرسميون من هم الذين وقعت استضافتهم بذلك المركز الفردوسي وما هو الجرم الذي اقترفوه .

لقد تمكن البعض من ازاحة الستار الحديدي عن ذلك المعتقل ، وأفادنا بطرف مما يقع بداخله ، واعلمنا عن اسماء نفر من سكانه ، فاذا بنا نسمع عجبا ، ويتولانا الذهول من هول ما نسمع :

مربع من الأرض يمسح نحو النصف هكتار ، احاطت به الأسلاك الشائكة من كل جانب ، واشتدت عليه وطأة الحراسة ليلا ونهارا ، وداخله خيام يقتسمها الذين ساقهم غضب الحاكم أو القائد ، أو الجندرمي اليه ، بعدما سجلوا أسماءهم فى القوائم السوداء ، وأرسلوا بها الى ادارة العمالة وقالوا عنهم أنهم من كبار «المشوشين» .

الأكل الردىء قليل ، والشراب أقل منه ، ولا يتصل « الضيوف » المبجلون فى مركز الايواء بأي صحيفة أو كتاب ، انما لهم شغل يومي يلهيهم عن القراءة وعن المطالعة وعن السمر ، ذلك هو الانهماك فى صيد العقارب ، وقنص الأفاعي والحيات ، ومطاردة العناكب التي يبلغ بعضها حجم العصفور .

أما الذين وضعوا بهذا المعتقل ، فليسوا من الثوار ، لأن الثوار قد اعتصموا بالجبال والغابات ، وليسوا من المشبوهين ، لأن المشبوهين قد وضعوا فى غيابات السجون ، بل هم نوع آخر من مخلوقات الله ، اختارتهم العناية الادارية ووضعتهم هنالك ، كيلا يكونوا ثوارا وكيلا يكونوا مشبوهين ، انهم هم أصحاب الأعراف بين جنة الاستعمار وجحيمه .

اننا نحتج عظيم الاحتجاج على هذه الأعمال المنكرة ، ونستنكر شديد الاستنكار هذه الأساليب الفظيعة فى معاملة الأبرياء الذين لم يدانوا بشيء ، وخاصة رجال العلم والتعليم والدين والارشاد منهم ، ونطالب بكل ما فينا من قوة وايمان وعزيمة رجال الحكومة باطلاق سراح هؤلاء الأبرياء المظلومين ، والغاء هذه المحتشدات الفظيعة التي ستبقى أبد الدهر سبة لا تمحوها الأيام .

وصبرا جميلا لأولئك المساكين التعساء ، سيأتي يوم يخرجون فيه مرفوعي الرأس موفوري الكرامة ، والله لا يضيع أجر الصابرين .

* * *

وهذا نص مقالي المنشور بالعدد 327 ، الصادر يوم 15 جويلية 1955 تحت عنوان : « أليس فيكم رجل رشيد ؟ » :

ان الحقائق لا تخفى . وأنظار الدنيا بأسرها تلاحظ وتراقب ، والأعمال الارهابية القاسية لا يمكن أن تبقى تحت طي الكتمان مهما بالغ القوم فى محاولة كتمانها ، فلم يعد اليوم خافيا على أحد فى داخل البلاد وخارجها ، ما يرتكب فى الجهات التي يعمل بها الثائرون من زجر فظيع ، وبطش فادح ، وتنكيل تقشعر منه الجلود . ولو أن الأمر كان يصيب الثائرين خاصة ، ولا ينال الا الذين حملوا السلاح ، لقلنا انها الحرب الوحشية ، ولها قانونها الخارج عن القانون ، والثائر ما حمل سلاحه واعتقل بالجبل والغابة ، الا لكي يقتل ولكي يقتل ، لكن الأمر أدهى من ذلك وأمر : الأمر يتعلق بالسكان الآمنين الوادعين ، الذين ينالهم سوء العذاب ، ويقتلون وتحرق منازلهم وتتلف أرزاقهم ، لمجرد مظنة أن بعض الثائرين قد آووا اليهم ، أو لمجرد القيام بعملية ارهاب ، قصد انزال الرعب ببقية السكان ، حتى لا يساعدوا الثائرين . لقد وقع ذلك فعلا بناحية سكيكدة ، حيث اشتركت الطائرات والمدمرات البحرية والدبابات فى اتلاف عدد لم يحص من مشاتي السكان الذين «قيل» أن الثائرين مروا بساحتهم . ووقع ذلك فعلا فى جهة الجنوب، ووقع ذلك فعلا فى جهات أخرى متعددة سيجيء يوم قريب تفضح فيه كلها على رؤوس الملأ ، من فوق منصة مجلس النواب ، وعندئذ يعلم الناس فى العالم أجمع ، أن طريقة

استئصال الجزائريين التي استعملت بنجاح عظيم يوم 8 ماى 1945 وما بعده من الأيام السوداء المشؤومة ، لا تزال موجودة صالحة للاستعمال ، ولا يزال لها من ينفذها ومن يتولى كبرها ، رغما عما شاع من احتجاج بعض المسؤولين العالين واستقالة بعض كبار الموظفين .

لكن ما هي النتيجة يا ترى ؟

هل يعتقد الذين قاموا بكبر هذه الأعمال الاجرامية أنهم سوف يتوصلون بذلك لاقتلاع جذور الثورة واطفاء نارها ؟ ان كانوا يعتقدون ذلك فقد طاش سهمهم وخاب فألهم ، لأننا رغم التصريحات المتفائلة والأنباء التي تتعمد «تلطيف» حدة الحوادث ، نعتقد أن الثورة قد زادت عمقا وانتشارا ، ونعتقد أن الحوادث الزاجرة الانتقامية الشنيعة ما زادت الثورة الا شدة وحدة . بل أن هاتيك الأعمال الشنيعة التي تمس الأبرياء فى أرواحهم وفى متاعهم وفى كرامتهم لا تكتفي باذكاء نار الثورة والعصيان اليوم ، بل تخلق المرتع الخصب الذي تترعرع فيه حوادث المستقبل ، كما ترعرعت حوادث الحاضر على البساط الذي خلقته حوادث الأمس .

يا للفظاعة ويا للهول : ان بلاد الدنيا بأسرها تبذر بذور النهضة والرقي والكمال العلمي والسمو الأخلاقي ، وتنشيء الجيل الجديد على قواعد المحبة والأخوة والتعاون . أما بلادنا – فى نظامها الاستعماري الحاضر ، الآن – فلا تهيىء فى الحقيقة الا جو الاضطراب والكدر والاستياء والثورة . ذلك هو نتاج الأثرة الاستعمارية ، والجشع القاتل ، والتفريق بين الأجناس بحواجز من الأنانية والتفوق ، والاستئثار بالمال والأرض والحكم ، وفرض المهانة والجهالة والفقر والسقم على الملايين من الناس الذين خلقهم الله كراما ، وأرادهم الاستعمار أذلة . وساقهم بعصى البطش والارهاب الى حيث أراد لهم موت الروح وموت الجسم معا .

لكن العيون تفتحت . والحياة تغيرت . ومهما كان الجزائري يعيش فى سجن سميك الجدران ، فان أصوات التحرير قد اخترقت تلك الأسوار ، ومشاعل الحرية قد بددت تلك الظلمات المتراكمة ، وأصبح الجزائري – كل جزائري – يريد أن يعيش كريما وأن يموت كريما .

تلك هي ارادته ولا مرد لارادته . وانه لن ترجعه الى الوراء عمليات البطش مهما قست ، ولا عمليات التنـــويم والتخدير مهما دقت ورقت .

انه يريد الأعمال لا الأقوال ، يريد الانجاز لا الوعود ، يريد تغييرات أصولية لا اصلاحات ظاهرية ، يريد بعبـارة أخرى واضحة جلية فصيحة : ان يحكم بلاده حكما حرا بمشاركة سائر العناصر التي استوطنت هذه الأرض ، وأن يكون منهم جميعا فوق اديمها حكومة جزائرية ، لا تكون دون حكومتي تونس والمغرب الأقصى سلطة ونفوذا . فهـل فهمتم الأمر جيدا ؟

اننا نخدم الحقيقة والعدل، ونعمل لفائدة فرنسا والجزائر معا ، عندما نقول جهارا ما يفكر فيه الجميع ، ونكـون المرآة الصادقة التى تنطبع عليها حقيقة شعور وعـــواطف وآمال الجزائر ، أمام الرأي العام الفرنسي وحكومته .

لكن ليت شعري متى ينظر الرأي العام الفرنسي هــذه الحقائق التي نتعمد بسطها ، ومتى تسمع حكومته هــذه الأصوات التي نتعمد رفعها .

حسبنا اننا قمنا بواجبنا . ولم نكتم كلمة الحق التي يجب اعلانها . وليس الذنب ذنبنا اذا هي لم تسمع اليوم ، اننا لنعتقد أنها لن تذهب صرخة فى واد . فمن أصم اليوم اذنيه ، فسيسمع غدا لا محالة ، انما نرجو أن يسمع قبل فوات الوقت .

« البصائر »

* * *

أما فى العدد 332 ، الصادر يوم 9 سبتامبر 1955 ، فقد كتبت اثر مصادرة البصائر ، تحت عنوان : « لا رجوع الى الوراء » :

فقد حجزت الجريدة قبل أن تصـل الـى أيـدي الباعـة وطاف رجالها على الباعة يجمعون ما بقي بين أيديهم منها فى العاصمة وبعض مدن العمالة ، اما فى بقية البلاد الجزائرية صادرت السلطة الحكومية جريدتنا فى الأسبوع الماضي ، والمشتركـين .

وكذلك كان الحال بالنسبة للعدد الأسبق ، فصودر فى أغلب جهات القطر ولم يتسرب الى أيدي القراء الا الجزء اليسير منه .

اننا أمام هذا الاعتداء الصارخ على حرية الصحافة ، وحرية النشر ، نقف مشدوهين ، ومتعجبين ، ولم نفهم حقا ماذا تريد الادارة أن تصل اليه من وراء عملها هذا .

ان هذا ضرب من المحال . لأن فكرتنا هي فكرة الأمة . وصوتنا هو صوت الأمة . وهنالك تجاوب تام بين ما نقوله للأمة وبين ما هي مستعدة لتلقيه . واننا اذ نكتب ما نكتب ، انما نحن نعبر عن احساسها وشعورها ، فلسنا نحن الذين نوحي للناس بآرائنا وأفكارنا ونظرياتنا فى مختلف المشاكل ، بل اننا نكاد نتلقى الوحي منهم ، ونفصح عن رغائبهم ، ونرفع ظلامتهم ، ونعبر بلسان القلم ، عما يشعرون به فى قرارة أنفسهم من الم .

أم هي تريد أن تمنع تسرب بعض الأخبار والأنباء ، وهي امة بلغ تعدادها العشرة من الملايين وليست لهم الا صحيفة أسبوعية وحيدة باللغة العربية ، المضطهدة فى دارها ، الغريبة فى بلادها ؟

ان هذا ضرب من العبث ، لأن الأمة ليست نائمة ، وليست بلهاء ، فالأخبار التي لا تتلقاها منا تتلقاها من غيرنا ولا ما تجده فى صحيفتنا العربية ، تجد مثله واكثر منه فى الصحف الأروبية ومن لم يستطع ان يقرأ ، اعتمد على مترجم يسرد له حوادث يومه والتعاليق العديدة عليها .

أم يريدون بمثل هذه الأعمال الاضطهادية ، أن ننكص على أعقابنا ، وأن نرجع القهقرى ، وأن نخفف لهجة قد تعمدنا من قبل تخفيفها الى درجة ربما أنبنا عليها ضميرنا ، وأن نغير خطة عامة قد ارتضيناها وارتضتها الأمة منا ، وليس فيها غلو ، وليس فيها اسراف ، بل هي أقل ما يجب وما يمكن ان تتقدم بها الصحافة الحرة ، لشعب حر فى مثل هذه الأوقات ؟

ان هذا ضرب من الجهل . اننا ما تقدمنا لكي نتقهقر ، وما اندفعنا لكي ننهزم ، وما رفعنا صوت الأمة عاليا مدويا ، وأفصحنا عن آلامها وآمالها بصفة واضحة جلية لا غبار

عليها ، الا لكي نثبت في ميدان التضحية والشرف ثبات الأبرار الصالحين ، ونقوم بالواجب الذي فرضه الله ، وامر به الوطن ، وأقره الضمير الحر ، الى النهاية ، مهما كانت تلك النهاية .

فلا رجوع على الأعقاب ، ولا تقهقر الى الوراء ، اننا ما قلنا الا ما نعتقد أنه في سبيل الصالح العام ، وما رفعنا الصوت الا بما تجيش به صدور الأمة جمعاء .

فمصادرة البصائر ، انما هي في الحقيقة مصادرة صوت الأمة ، ومحاولة تحطيم البصائر انما هي محاولة اخماد أنفاس الأمة ، والأمة التي سارت كسير الأمة الجزائرية الى الأمام ، في ثبات وحركة جريئة مدهشة ، لا ترجع أبدا ، أبدا ، الى الوراء ، كلفها ذلك ما كلفها .

* * *

ه . وتحت عنوان « مصادرة جديدة » ، كتبت بالعدد 336 ، الصادر يوم 7 أكتوبر 1955 ، ما نصه :

ومرة اخرى ، يصدر عامل عمالة الجزائر أمره بمصادرة صحيفة الأمة الوحيدة « البصائر » وتحطيم أصولها في مطبعتنا ، فحرم قراء العربية من المصدر الوحيد الذي يستقون منه أنباءهم ، وهكذا لم يتصل القراء بالعدد 333 ، من جريدتنا كما لم يتصلوا من قبل باعداد اخرى حجزت وحيل بينها وبين القراء .

ولقد قلنا ما يجب أن نقوله بمناسبة هذه المصادرة لحرية الراي ، واعدنا القول حتى كدنا نسقط في ميدان الحديث المعاد ، فلا موجب اذن لتكرار ما قلناه في مثل هذه المناسبات السوداء . انما لا نرى مندوحة من ذكر أمرين اثنين بمناسبة استمرار حوادث الحجز والمنع المتسلطة على جريدتنا .

أولا « ان الادارة قد ضاقت ذرعا بالبصائر ، الى درجة ان أصبحت لا تتحمل منها مجرد تعريب مقالات عن أمهات الصحف المعتدلة ، مثل (لوموند) فان العدد الأخير المصادر ، كان يشمل زيادة عن يوميات الأزمة ، مقالا عربنا فيه منشور النواب القسنطينيين وذكرنا أسماءهم ، وقد نشرت ذلك

سائر الصحف الاروبية بالجزائر وفرنسا ، كما عربنا فصلا عن (لوموند) يتعلق بالحوادث الجزائرية ، وعربنا فصلا آخر عن نفس الجريدة فيه خلاصة أقوال المحبذين والمعارضين لرسم قضية الجزائر فى جدول أعمال الأمم المتحدة . ولم نعلق على كل ذلك الا بشيء يسير ، أو دون الشيء اليسير .

فهل ما يباح لقراء الفرنسية أن يطلعوا عليه ، يحرم فى الوقت نفسه على قراء العربية ؟ أم هل مجرد الاشارة لبيان أصدرته جمعية العلماء يستوجب حجز الجريدة كما حجزت الجريدة التي بها نص ذلك البيان ؟

أم ترى الحكومة أن تعليقا بسيطا على حادث معين ، من شأنه أن « يعكر صفو الأمن العام بالبلاد الجزائرية » ؟

هذا ارهاف للحد غير معقول ، وهذا غلو فى محاربة الصحيفة العربية الوحيدة التي تخدم الصالح العام ، والتي ان كانت تقدم للقراء العرب خلاصة الأنباء والحوادث فهي تقدم من جهة أخرى للحكومة راي الأمة وشعورها ورغائبها ، مما يجب أن يطلع عليه كل من اضطلع بسياسة الشعوب وحكم الأمم .

ومن استمع لصوت جرس واحد ، فهو لم يستمع لشيء كما يقول المثل الفرنسي .

ثانيا : اننا لن نسلك السياسة التي سلكها غيرنا مضطرا ، فى مثل هذه المناسبات ، ولن نعدل عن الصدور فى مواعيدنا المقررة ، ولن نغير شيئا مما عاهدنا الله وعاهدنا الأمة على القيام به والنضال فى سبيله فكل أسبوع سنقدم عددا فى موعده ، ولو كانت النتيجة أننا نصادر كل أسبوع .

اننا سنقوم بواجبنا المفروض علينا حتى النهاية ، غير آبهين للمصادرات والعقبات والتنكيل ، متحملين الأذى فى سبيل الله ، وفى سبيل القيام بالواجب ، ولتسجل الأمة أننا سنكون بحول الله ثابتين الى النهاية ولله عاقبة الأمور .

« البصائر »

ومسك الختام فيما أنشره اليوم ، مما كتبته باسم جمعية العلماء هو مقالي المنشور فى العدد 330 ، واليكموه :

(نحن لا نطلب صدقة بل نريد حقا)

ربما كان رجال الكهنوت فى القرون الوسطى ، يعذرون بعض العذر ، اذا ما شكوا فى وجود روح للمرأة ، وعقدوا المؤتمرات لفحص ذلك المشكل الذي كان القرآن الشريف قد فضه قبل ذلك بحكمة وصراحة ، اذ قال : من عمل صالحا من ذكر وأنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون .

فحالة الجهل التي كانت تخيم على الغرب ، وسوء النية التي كانت تضرب حول التعاليم الاسلامية الراقية جدارا من حديد ، والامية التي كانت سائدة فى سائر أصقاع أروبا ، والجمود الذهني الذي كان سمة الحكام والأمراء ورجال الاكليروس ، كل ذلك يمكن أن ينتحل عذرا لهم ، اذا ما شكوا فى وجود روح للمرأة وعقدوا مؤتمرا كانت تلك القضية أهم بحوثه .

لكن يا ترى هل يعذر رجال الجمهورية الرابعة ، فى عصر هيئة الامم المتحدة ، وفى ساعة استعمال الطاقة الذرية ، وفى أيام انهيار النظام الاستعماري العالمي ، اذا ما هم شكوا فى وجود « روح » للأمة الجزائرية جمعاء ، واستمروا على معاملتها كالمرأة أثناء القرون الوسطى ، أو معاملة طغام النخاسين لجماعة العبيد فى عصر الظلمات .

لا أبالغ والله ، ولا أغالي ولا أغرق ، انما أرى وأسجل ما أرى ، والاحظ وأنشر ملاحظاتي ، فأقول مؤمنا ان ما رأيته وما سمعته وما قرأته خلال الحقبة الأخيرة من تاريخنا الحديث وخاصة بعد انفجار بركان الثورة يوم غرة نفامبر ، يؤكد لي ان القوم ، أعني رجال الحكومة ورجال الأغلبية البرلمانية فى فرنسا ، لا يزالون يجهلون جهلا مطبقا روح الجزائر ، وماهية رغائبها ، وحقيقة وضعيتها ، وطريق اتجاهها ، بل انكروا بأعمالهم وأقوالهم وجود تلك الروح القوية الحية الفتية ، التي أعلنت على نفسها باللسان وبالقلم وبالدم ، واستمروا يعاملون الامة الجزائرية ، على تلك القاعدة ، يلقون اليها بفتات الموائد ، ويضنون عليها ولو

بالكلام الطيب ، ويمنعون عنها ابسط الحقوق التي اعترفت بها شتى الأمم ، لمن هم دونها من الشعوب التي كانت بالامس ترسف فى قيود الذلة الاستعمارية والطغيان العنصري الخبيث .

انهم يلقون اليها ، كلما اشتد صخبها وعلا عويلها بشيء من الصدقة التي لا تسمن ولا تغني من جوع ، ولطالما رجعوا فى صدقتهم تلك ، واستكثروها ، فاسترجعوا بيد الطمع اليسرى ، ما أعطته بتقتير يد الشح اليمنى .

ولقد خلنا ان القيامة التي قامت منذ غرة نفامبر ، والمآسي التي وقعت بعد ذلك ، والجدال العنيف الذي ثار فى مختلف الاوساط والجهات حول الوضعية الحاضرة الشاذة الغريبة، خلنا كل ذلك كافيا لاقناع السلطتين التشريعية والتنفيذية بفرنسا بوجوب ادخال التغيير الجوهري الأساسي على نظم الحكم وأساليب الادارة وطرق السير فى هذا القطر ، حتى يستطيع أن يداوى جراحاته المزمنة وأمراضه المتأصلة فى نظام شعبي حر مستقل يضمن سلامة الجميع ، ومصالح الجميع ، وتضامن الجميع .

لكننا وجدناهم فى الضلالة يعمهون لم يفقهوا قولا ، ولم يتعظوا لمأساة ولم تكفهم النذر ، واستمروا على سياسة الصدقات العجفاء .

فأثناء اجتماع لجنة تنسيق السياسة بالشمال الافريقي تفضلوا بلفتة خاطفة الى جانب القطعة من الارض التي أخرجوها عن دائرة الحرية الانسانية ، وظنوا ان الله قد أخرجها عن دائرة رحمته اذ أبقاها تحت نير سلطانهم الاستعماري ، ولوحوا لها بشيء من الوعد الضئيل فى شيء من الاصلاح الهزيل داخل نطاق النظام الحاضر ، والحكم الحاضر ، والأساليب الحاضرة والرجال الحاضرين .

أيها القوم ، ان لم تحترموا الناس الذين ينظرون اليكم من كل جهة فاحترموا أنفسكم على الأقل .

أبمثل هذه الجزئيات التفصيلية ، التي تناولتها الأيدي العابثة ، فى ظلمات الحجرات الاستعمارية فلم تكد تبقى منها شيئا ، تحاولون فض المشكل الجزائري المريض العميق ؟

القضية أيها السادة قضية انقلاب كامل ، لا قضية اصلاحات جزئية ، قضية شعب يريد الوصول الى الحياة الشريفة الحرة ، قضية أمة تريد أن تصل الى الحكم الوطني ضمن نظام ديموقراطي صادق لا محاباة فيه ولا اجحاف ، قضية عشرة ملايين من البشر ، انفوا حياة العار وعزموا على تمزيق اغلال الاستعمار ، وتبوىء مقاعد الأحرار .

نريد دولة وحكومة ، وديموقراطية صحيحة ، ودستورا شعبيا يحقق سيادة الأمة ، كل الامة ، ولا نريد لقمة خبز تلقى لاسكات الجياع ، ولا حفنة من الرماد تذر في عيون الناظرين .

نريد نظاما كاملا ، لا اصلاحات منقوصة ، نريد حقا ، ولا نقبل صدقة .

نريد أن يسوى بيننا وبين سائر الأمم لأننا لسنا دون أية أمة من الأمم .

أظن اننا خاطبناكم بصراحة ، وجلاء ووضوح ، ونرجو أن لا يقول لنا قائل : لقد اسمعت لو ناديت حيا . ولكن لا حياة لمن تنادي ولتعلموا اننا لا نيأس ، ولا نرجع الى الوراء ، ولا نقنع بالدون .

فان لم تسمعوا اليوم ، فتسمعون غدا .

والايام بيننا .

« البصائر »

كلمة الابراهيمي العملاق :

كان الأستاذ العبقري محمد البشير الابراهيمي ، رئيس جمعية العلماء ، غائبا بالقاهرة ، مضطلعا بأعمال عظيمة مشرفة ، الا أن قلبه كان معنا ، وفكره الوقاد كان يحوم حوالينا ، ويتغلغل بين أعماقنا ، لا تفوته حركة من حركاتنا ، وكان قد أرسل لنا مكتبة عربية كاملة ، كثير من كتبها نادر ، عدد كتبها نحو الألف ، اضطلعت مع صديقي وأخي الكريم العالم العامل النزيه ، الشيخ عبد اللطيف سلطاني بترتيبها

وتبويبها ، وهيأنا لها من دار الجمعية ، بشارع بومباي غرفة فسيحة ، وجعلناها تحت تصرف الباحثين ، كما كان قد أرسل لنا مقدارا من المال ، كبير ، تسلمه فى الشرق اعانة لجمعية العلماء ، بلغ مقداره نحو 12مليون فرنكا ، قضيت صحبة الرفيق الصديق سلطاني ، أمين مالية الجمعية ، وقتا طويلا فى التردد على مختلف الادارات كي نستخرجه من الخزينة العامة ، بصفته اشتراكات متأخرة لجريدة البصائر ، وأخرجناه والحمد لله رغم كل الصعوبات ، وبعد سفرى حوكم الأخ المبجل الشيخ سلطاني من أجل استلام ذلك المال .

وجاءتني رسالة خاصة من ابراهيمينا العظيم ، ونحن فى غمرة الجهاد بالبصائر علنا ، وبغير البصائر سرا ، أنقل لكم جزءا مما جاء بها عن موضوعنا ، ليعلم الباحثون والناس كافة اننا كنا أثناء معركة التحرير الكبرى ، فكرا واحدا ، وقلبا واحدا ، ويدا واحدة .

« الأخ الأكرم ، الأستاذ الكبير أحمد توفيق المدني ، أسعده الله وأعانه .

سلام عليكم وتحيات مباركات ..

اني بخير فى الجملة ، وأحوالي الصحية والفكرية متداعية .

وأنا فى غاية التألم من أحوال الاسلام عامة ، وقد رجع فلك العمر الى الوراء ، وتبلد الفكر ، وانقلب ذلك النشاط خمولا ، وأخمد اجهاد عشرات السنين القريحة دفعة واحدة ، والله المستعان .

آشكركم على هذا النشاط الذي أفاظه الله عليكم ، وعلى هذه المواقف المشرفة من قلمكم ، فأنا راض تمام الرضا ، مغتبط كل الاغتباط بالبصائر ومواقفها ، ولا يضرك ما صنعت بعد اليوم ، وكل النـاس الذين يقرأونها فى مثل حالتي ، فهنيئا لك ، وليس بعد هذا شهادة ولا

تزكية ، وفقك الله الى الاستمرار والدوام ، فلا أفضل لك من هذا ، وأنت فى هذه الحقبة من العمر » .

باندونغ ونشر القضية الجزائرية عالميا :

انا ، ونحن نكابد فى نشر هذه المقالات ، ونقوم الى جانبها بما يمليه علينا الدين والشرف ، بينما أبناء الأمة الأبرار الأحرار ، يتساقطون كل يوم فى مختلف جهات البلاد ، شهداء الدين والوطن ، وفداء الحرية الغالية ، علمنا أنه قد انعقد فى مدينة باندونغ الاندونيسية ، المؤتمر العالمي الأول لدول عدم الانحياز ، وقد دعا الى عقده الأقطاب الثلاثة : الذين خسرهم العالم الحر فيما بعد : جمال عبد الناصر ، والماريشال تيتو رئيس يوغوسلافيا ، وجواهر لال نهرو ، رئيس الهند وخليفة غاندي العظيم (سبتامبر 1955) .

ففي ذلك المؤتمر العظيم ، حضرت الجزائر المجاهدة الصلبة ، متقمصة شخص المجاهد الحر الكريم ، الأخ محمد يزيد ، وقالت كلمتها الساطعة التي حلت يومئذ فى سويداء القلوب ، خارجة من فم ذلك الخطيب المؤمن ، بلغة انكليزية صميمة أتقنها محمد يزيد الى درجة الابداع ، وآمن القوم بالقضية ، واحتضنوها وناضلوا فى سبيلها الى أن كلل الله هامتها بتاج النصر والفخار .

وهكذا استمر محمد يزيد مناضلا جبارا فى مختلف الميادين ، وخاصة ضمن هيئة الأمم المتحدة ، فما كنا نراه فى القاهرة الا قليلا ، ثم أقامت الجبهة حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية ، سنة 1958 ، اضطلع فيها الأخ محمد يزيد بمنصب وزارة الاعلام ، واستمر سيف لسانه مصلتا ، وبريق يراعه لامعا ، طيلة أيام الجهاد العظيم .

واننا لفي غمرة هذه الأحداث ، والثورة عارمة ، والقيـامة قائمة ، اذ تذكر بعض اخواني وأصدقائي ، من رجال جمعية العلماء ، ومن كبار الشعراء والكتاب المبرزين أنه خلال شهر يونيو من سنة 1955 ، مـر علي بالقطر الجزائري ثلاثون عاما ، من يوم أبعدتني السلطة الاستعمارية اليه ، كما مر عليك منذ السطر الأول من الجزء الثـاني من هذه المذكرات .

خاطبني اثنان من الاخوان الفضلاء فى الأمر ، هما الشيخان حمزة بوكوشة وأحمد سحنون . وقالا : ان هذه فرصة لا يجب أن تضيع أو تهمل ، واننا نريد أن نقيم بهذه المناسبة حفلا يشـارك فيـه من أراد المشاركة ، و . . فقاطعتهما أقول : أهذا يا اخوتي وقت حفلات وتنويه بذكريات ؟ أياكما أن تفكرا فى هذا ، أو فى مثل هذا ، الثـورة أولا والثورة أخيرا ، لا يجب أن يعمل عمل أو تقال كلمة الا فى ميـدان الثورة ، بما ينفع الثورة وبما يغذيها . وطال الجدال ، واحتـد أحيانا وقالا : انما نحن للثورة نعمل ، ولاذكاء نارها نسعى ، وان كنا نحتفل « بالثلاثين » فليس ذلك من أجل شخصك ، بل من أجل عملك الثوري، وتأكيدا لكل من يرى ويسمع ، منا ومن أعدائنا ، أن الأمة الجزائرية لا تنسى جميل من أحسن وأدى الأمانة باخلاص ، ولا تنسى اساءة من تنكب عن الطريق السوي ونكص على عقبيه . وفى هذه الفترة الحاسمة بالذات ، نريد أن نبرز قيمة رجالنا ، وتعلقنا بهم ، والتفافنا حولهم ، حتى تعلم الحكومة وأذنابها وخدام ركابها ، أننا عصبة قوية نسير فى طريق الجهاد والتضحية ، زمرة متضامنة قوية ، لا نهاب أحدا ، ولا نخشى نكالا ، ولن يصيبنا الا ما كتب الله لنا . وزاد على ذلك الشيخ أحمد سحنون الشاعر الملي الفحل ، كلمات صادرة من أعماق الفؤاد تشع ايمانا وحماسا ، وسكتنا وسكت .

وبعد أيام ، جاءني الشيخ حمزة يقول : سيقع الحفل يوم العشرين من جوان بمطعم الشباب المواجه لساحة الحكومة ، ويشترك فيه سبعون رجلا اخترناهم من خاصة الخاصة . وسيلقى به عدد من القصائد والخطب الهادفة ، قلت : ما رآه المؤمنون حسنا ، فهو عند الله حسن ، ويممت القاعة فى الساعة المعينة ، واذا بي أجد جمعا من رجالنا وشبابنا المبرزين ، وكانت حفلة من أجمل وأبدع الحفلات يسودها التفاؤل العظيم ، والايمان بنصر الجزائر بعد الجهاد العنيف . وأبدع الشعراء وأبدع الخطباء فى تقديم آياتهم البينات ، مع ما فيها من مبالغات فادحة نحو شخصي الضعيف . وأجبت على كل ذلك بما يناسب المقام وما يشفي الغليل أيضا واني مقدم ها هنا . أربعا من القصائد التي قيلت بهذه المناسبة ، لأنها تصور القوم وشعورهم ، والأحاسيس التي كانت تملأ جوانحهم ولما يمض على الثورة العارمة الا ثمانية أشهر فقط . فلست بناشر هذه القصائد العصماء ، شهد الله ، لما فيها من شكر لشخصي ، وثناء على عملي ، بل لما سجلته بين سطورها من آيات بينات تتجلى فيها روح الثورة المتعالية ، وعزيمة التحرر المتقدة ، والايمان الراسخ بمستقبل الشعب السعيد ، تحت راية الحرية الحمراء ، والاستقلال الوهاج .

قصيد المرحوم عبد الكريم العقون

كفاحك « أحمد » يطوي السنين !
فسل عنه يا ليث ، هذا العرين

لقد ذدت عنه العدى ثابتا
أمام الأعاصير ، والظالمين

وكافحت يا بطلا خالدا !
عن العرب تحمي حماهم أمين

فأمعنت فى المجد ، تبغي الخلود ،
كأجدادك العرب الخالدين

وجردته ، كالحسام ، يراعا
سنى نوره كاد يعشي العيون

فأبرزت تاريخنا مشرقا
ـ كوجهك ـ يسطع فى العالمين

صحائف مشرقة كالضحى
تلألأ خلف مئات السنين

وبيضت وجه « الجزائر » اذ
جلوت محاسن منها ، تزين

أعدت اليها مفاتنها
فأغمرت مفاتنها ، الناظرين

عوالم من ذكريات الجلال
حواها فؤاد ذكي فطين

* * *

ويا حبذا قلم فيصل
يدبج آي البيان فنون !

هززت عروش الطغاة به
وسفهت أحلامهم والظنون

تفيض البلاغة من جانبيه
ويجري عليه البيان رصين

تخط به ما يواسي الكلوم
ويشفي الصدى ويزيح الشجون

تناجيه نجوى محب ، به
لواعج شوق ، وداء دفين

فيفصح عما به من جوى
ويأتي بسحر حلال مبين

فيشفي لواعجه المحرقات ،
وتأخذه هزة ، وحنين

تحن اليه خفوق الفؤاد ،
وتشتاقه كأخ أو خدين

تطارحه خلجات الضمير ،
ونبض الفؤاد ، وهمس الجفون

تغذيه من قلبك المستفيض
دما زاكيا ، فائرا ، كالأتون

وكم من نواد بك ازدهرت
فأنعشتها بالنمير المعين

وكنت بها ظافرا شاديا
فأطربت روادها باللحون

فمادت ، نشاوى ، مرنحة
بخمر سقيت بها المغرمين

وحلقت بالسامعين الى
عوالم حافلة بالفتون

واشعلت فى الخامدين حماسا
أعدت به الروح للخامدين

اذا ما خطبت هززت الجموع
بصوت له فى الجموع رنين

خلقت خطيبا تبذ الرفاق
وتصعد كالنجم فوق الظنون

صهرت الكلام وقد صغته
روائع تزري ببدر مصون

وذللت تلك المعاني الصعاب
وذوبتها نغما للبنين

* * *

ثلاثون عاما مضت فى النضال
ابيت - بما حملت - أن تلين

وقضيتها فى جهاد طويل
مع الجهل ، والظلم ، والغاصبين

فأبعدت عن موطن زاخر
بروح الفداء الذي لا يهون

وكنت ترعرعت في غيله
وكافحت عنه كفاحا مكين

وضعت العصا ها هنا وانتضيت
حساما يصيب الكلى ، والوتين

مضاء وعزم ، يهد الجبال ،
وصبر على النائبات ، ولين

ثبت أمام العدى ، صامدا
كأنك طود أشم متين

وانك رمز الفدى والثبات
اذا خان قوم فلست تخون

اذا دجت الحادثات انبريت
تنورها بضياء اليقين

وترمي الدياجي بفكر منير
كبدر يشق سناه الدجون

فاحبب بأخلاقك الطاهرات
كروض به الآس ، والياسمين !

يطير السرور بنا كلما
لمحناك تبسم ، طلق الجبين

شمائلك الغر قدسية
تغذيتها من هدى مستبين

ويا أيها الجمع ! يا من رعى
بهذا الزمان ، حقوق القرين

أرى النور يعلو محياك اذ
وفيت له فقضيت الديون

« أتوفيق » ! سر في طريق العلا
فحولك أسد الحمى الطامحون

وعش للعروبة ، رائدها ،
ودم « للجزائر » حصنا حصين

الجزائر :

« عبد الكريم العقون »

قصيدة أمير الشعراء أحمد سحنون

يا جمـال البصـائر وجليـل المآثـر
وجديرا بـأن يكـو ن امـام (الجزائر)
سوف تغدو بخير سعـ ـيك خير الجـزائر
سـوف يـأتي صباحها بعـد هـدى الدياجـر
مـؤذنـا بانتصارها معلنـا للبشـائر
أنت (توفيـق) أمـة شغفـت بالمفـاخـر
لـك الهـام فيلسو ف واحسـاس شاعر
ويـراع كأنمـا نفثـه نفـث سـاحر
وافتـراع اذا اعتليـ ـت متـون المنـابر
وتـآليـف للجـزا ئـر هي اغلى الذخائر
وخـلال أريجهـا كـأريـج الأزاهـر
ودهـاء يريك ما فى خفـايا السـرائر
وأنـاة بهـا تحنـد يـت سـود المخاطر
أى ذكـر عـلى الشفا ه مـدى الدهـر عاطر
أنت ـ والله ـ خالـد رغـم أنـف المكـابر

« أحمد سحنون »

قصيد شاعر الثورة مفدي زكريا

شاكر الفضـل ليس يعـدم شكرا
خلـدوهـا اذن لأحمـد ذكـري
واكتبـوهـا وليقـرأ الجيـل منهـا
فى كتـاب الجـزائر اليـوم سطـرا
واذكـروا اليوم وهو عيـد الضحايا
والضحايا رمـز الضحايا الأبـرا ..

والثـلاثـين ، قـد قضـاها نضالا
وجـلادا تخالهـا اليـوم شهـرا

عامـرات بالجـد ان تنشـروهـا
تنتشـر فى ذرى الجـزائر عطـرا

والتقـاويم (1) والبصـائر والنـا
دى (2) وعثمان (3) والكتاب الأغرا (4)

خـالـدات عـلى الـزمان بـواق
كالمثـاني تفيـض نـورا وطهـرا

صادقات الخطى اذا طوح العزم بها صادفت حفاظا وفكرا

صـالحـات فـلا المطـامـع تغـر
يهـا وكـم خلب المطـامع أغـرا

واذا لـم يـك الصـلاح دليـلا
فى المسـاعي كانت ظـلالا وخسـرا

واذا أخطأ القيادة توفيـق وعقل كانت على الشعب وقـرا

واذا العـاملـون كانـوا شتـاتا
بشـر العـاملين ويـلا وشـرا

انمـا يكتـب البقـاء لشعـب
حيـن يختـار جنـده يتحـرا

انمـا يكتـب الخلـود لحـر
ذي ضميـر ضميـره عـاش حـرا

ايـه توفيق ، فيك أخلصت شعـرا
قدسيـا كالـوحي ظنـوه سحـرا

انـا ان كنت فى القـريض اميـرا
أبـدا فى المديـح ما قلـت شعـرا

واذا أنكـروا رسـالـة شعـري
جئت بالمعجـزات فى الشعب تتـرى

قد رأينـا الحقـوق تؤخـذ قهـرا
فاغتصبنـا أمـارة الشعـر قهـرا

---

1 ـ تقويم المنصور ـ 2 ـ جريدة البصائر ونادي الترقي ـ 3 ـ محمد عثمان باشا ـ 4 ـ كتاب الجزائر .

ورشقنا اللواء فمن ينتزعه
يتقدم يكن بذلك أحرى

لستم الناس أيها الناس ان لم
ترفعوا للنبوغ فى الناس ذكرا

كرموا اليوم أحمد تكرموا فيه الحجى والنهى وعلما وفكرا

لستم اليوم تكرمون نزيلا
بعد منفاه فى البلاد استقرا

فهو من صلبها وان تحسبوه
تونسيا ـ ان الجزائر (خضراء)

ابعدوه فقربوه وبعد الدار قرب مذ أصبح الذل كفرا

* * *

أيها الشعب والليالي حبالى
بعد حين سيطلع الله فجرا

اتقوا الله فى الجزائر يا نا
س فقد ضاقت الجزائر صبرا

عاش فيها الطغاة عسفا وظلما
ورماها البغاة جهلا وفقرا

واستذلت رقابها فتراها
وهي فى أرضها تجوع وتعرى

واستبيحت أرزاقها ليس الا
قيصر يملك الحياة وكسرى

واسترقت نوابها فتراها
مثل كل الدمى تباع وتشرى

ورمى الشامتون فيها بنيها
بالتعادي والحقد لؤما وغدرا

فغدا مسلم يقاطع فيها
مسلما والدخيل يختال فخرا

ان كفـا غـدت تفـرق ما قـد
جمـع الله فى الجـزائر ـ بتـراء

ولسانا فى الحق أخرس لم يصرخ بوجه الفساد ضع فيه خمرا

وضميـرا منافقـا ظـل يحتـا
ل ويختـال شعبـه بـاء خسـرا

والخـؤون الخـؤون من لم يعـالج
كبـدا فى الجـزائر اليـوم حـرى

نحـن فى هـذه الجـزائر أخـو
ان جـراحاتنـا الزكيـة حمـرا

لغـة الضـاد ، والعروبة والتاريخ والدين آي ربك كبرى

وهواهـا ومـاؤهـا وسمـاهـا
وثراهـا الزكي شبـرا فشبـرا

فاسألوهـا تجيبكـم من حشاهـا
صرخـات الجـدود تنـذر شـرا

وتنـادي أليـس فيكـم رشيـد
يدفـع اليـوم منكـرا القول جهـرا

أصلحـوا ذات بينكـم واستقيمـوا
ان فعلتـم ، سيجعـل الله أمـرا

((مفدي زكريا))

قصيد شاعر الوطنية والعاطفة والاحساس
أبو القاسم سعد الله

قصـة عمـلاق ..

ثمل الشعر مغنى
للندامى
انشـدات
نابضـات بالحياة
والخـزامى

وتـــدنى
من فــم الفجـر الــوضى
يلثم النور بظمآن روى
وبطـــوف
بالضفاف الخضــر والظل الوريف

كلمـا اشتاق تلاقى
منــح النغم لساق ..
واستهاما
بالنـــدامى

أنشـــدات
خـــالـــدات
من لهـــاة الاطلـــس
من روابي السندس
من صدى وهران حتى تونس

ومراعي الشيح فى البيد الفضــاب
ومغاني الأنس فى أرض التصابى ..
أنشدات تتصادى
كلمـــا الصبــح تهادى
عبر أرواح الضحايـا
بالتحـــــايا
من غطـاريف « الشمال »
ذي الجـــلال

كلما الصبح تهادى
بين أعطاف الوطـن
نشـــر الحب وأودى بالضغــن
ومضى يلثـم تيجـان القنــن
ويهني الفـــائزين
ويمني الجاهدين
بالغـد الباسم والنصر المبين

***

كلمـا فـاح عبير وتندى
من ربى « الخضراء » أهدى
لبني « البيضاء » أشذاء التحية
في عصامي طليق العبقرية
رائد للصاعدين
بالبيــان واليـراع
والنشــاط والدفاع
رغـم أشواك السنين
والعقـــوق
في الطـريق . . .

***

انها قصة حـر
كافح الظـلم فأبلى
كافح الجور الخضيب
وافتدي الحق السليب
وهدى الشعب الضليل
وارتضى الابعاد عن بيع الضمير
ليضيء الحالكات
في المصير المغربي
ويـزيـح العقبـات
من دروب الزاحفين
من شباب العرب

ولقد أثمـر سعيـه
ونما في الشعب وعيـه
وبدت آفاق عـز واعـد
في مجاهيل الحياة القلقة
عزنا الواعد بالخير العميـم
عـزنا الباسم من خلف الغيـوم

فلنتابـع سيرنا
والعمـــل
ولننهنـه عزمنـا

بالآمــل
فالشمال فى انتفــاض
وانتقــاض
وبنـوه فى انتصــار
وانتظــار
لمصــير أسعد
ومقــام أرغــد

وهـم اليـوم رعـود
قاصفـات
وبنـــود
خافقــات
وهـم اليـوم وعـود
حـافـلات
وسعــود
طـالعــات
انهـا قصـة مجـد
انها صفحـة خـلد
كتبتها يـد عمـلاق خطير
يد (توفيق) الكبير

اسألوا الطرس كم انقض شهابا
ورضــابا
واسألوا الانس كؤوسا وحبابا
واسألوا الشعب شيوخا وشبابا
واسألوا الفكر رسولا وكتابا
والامــاني مترعــات
والنفوس حائرات
بالظنــون
واليقــين

انها لا شك تـدري
من سفير الملحمــه
من أمـد المكتبــه

بثمار يانعات
وقطوف دانيات
وأهاب بالشباب
فى سواد مدلهم أغبر
فى وجود مقشعر أحمر
دامي القيد كسير
بين مسجون ضرير
وانتقام ونذير

رغم هذا فقد اختط الدروب
ومضى ينفح موفور الطيوب
كلما حل مكانا
خلد الذكر وصانا
شرف (الأختين) فى دنيا لعوبه
وأضاف صفحة بيضاء فى سفر العروبه
كتبتها يد عملاق خطير
يد (توفيق) الكبير

انها قصة مجد
ونضال
انها قصة جهد
وجلال
قصة الحر الذي يأبى القيودا
قصة السيل الذي يفرى السدودا
والينابيع العذاب
تخصب الاجدب من حر التراب ..

كيف لا تدري الليالي
من قضاها فى اجتهاد واشتغال
فى تآليف وليده
ذات أصباغ جديده
ضافيات ... وتراجم
نادرات . . . وعزائم
تستشف الحجبا

وتقود القافلة
للحياة الفاضلة

كيف لا تدري الليالي
ما بنت كف المعالي
ان تكن تعلم فالآداب أحرى
أو تكن تجهل فالتاريخ أدرى
فاسألوها عن «كتاب» ورواية
وعلوم ودرايه
ودراسات تعب الأبحرا
وانطلاقات تـرود الاعصرا
فاليراع الحر يهمي كوثرا
والبيان السحر يندي عطرا
والزمان الشيخ راوى المفصل
والشباب الحي وارى المشعل

اسألوها فهى تدري
من أضاء جانبيها .. ووعاها
واستشف منتهاها ..
واسألوا بعد الصحافة
فهي قانون العرافـة
كم لها من جولة
فى ميادين الكفاح
اذ رمتها الحادثات
بأعاصير الرياح

فانبرت تأسو الجراح الراعفات
وتغني للشعوب الزاحفات
نحو آمال فسيحة
انشدات
نابضات بالحياة
من لهاة الأطلس
من روابي السندس

من صدى وهران حتى تونس
هذه قصة عملاق خطير
انها قصة (توفيق) الكبير .

أبو القاسم سعد الله

الدعوة للقـــاهرة :

كانت أعصابنا متوترة . كانت أفكارنا مضطربة . كانت ضمائرنا غير مرتاحة لحالنا . اننا نقوم بواجبنا حقا ، لكن هل هذا هو كل واجبنا نحو ثورة عارمة ، صاخبة ، مضطرمة ، يصطلي بنارها ، شعب كـــامل أصيل ، نبيل ، علمناه الجهاد وبينا له سبيل الاستشهاد ، فاندفع فى الحومة جامحا ، مجاهدا ، لا ينظر الا الى الموت ، ولا يرقب الا ساعة يلقى الله فيها بقلب سليم . هل يكفينا الكلام ، هل تكفينا المقالات فى الصحف مهما كان أثرها ومهما كان التهابها ؟ كنت أقول فى نفسي : تعسا لك من نفس ! أمرت الناس بالموت ، فهاهم يموتون بينما أنت تتمتع بحياة الأرذلين ، ورضيت أن تكون مع الخوالف ، كلا هذا ليس أنت .

أقول لكم والله حقا وصدقا . لقد ذقت من توبيخ الضمير ، وسعير التأنيب ما لا قبل لنفس أبية بتحمله . أأذهب الى الميدان ؟ وكـــان ميسرا لي أن أذهب مع اخوتي وأبنائي رجال الجزائر الأبية الى ميدان الجهاد . لكن سني كان قد تقدم . كنت فى السابعة والخمسين وكـــان النظر كليلا . أصبح لا يرى الا بنظارات من رقم مرتفع . خاطبت فى الأمر رجالا مثل مصطفى بن بولعيد وعميروش ، وكريم بلقاسم عليهم رحمة الله فكانوا يجيبون كلهم بكلمة واحدة : أنت مجاهد تحت تصرف الجبهة ، فابق حيث وضعتك الجبهة ، واذا ما رأت الجبهة نقلك الى مركز آخر من مراكز النضال فكن مستعدا .

أنا مستعد ، مستعد ليلا ونهارا . ولقد قال لي ولدي البار محمد اسلام ، وكان عمدتي فى تحرير صحيفة « الشاب المسلم » حيث كان يمضي مقالاته باسم مستعار هو « أسد » قال لي أنا مستعد من هذه اللحظة لتبوىء مقعدي فى الجهاد . وقد رسمت لنفسي خطة المسير الى معقل الثوار خلف مدينة المدية . فقم أنت بواجبك هنا وأدفع أنا عنك ضريبة الدم فى مواقع الجهاد . وعقدنا العزم هكذا . وأخذ الابن يستعد ، وأخذت الأم رغم رباطة جأشها وشجاعتها النادرة ، أخذت تنتحب وتقول أن الجهاد واجب وأن الموت فى سبيل الله هو تسليم النفس التي اشتراها الله من المؤمنين بأن لهم الجنة . لكن فقد الولد الوحيد أمر مزعج فظيع . وأن الأم التي توضع فى مثل هذه المحنة لهي أشقى خلق الله . فكنت أنا أسليها وكان هو يداعبها ، وكأنما هو ذاهب الى حفل بهيج . واننا لكذلك . اذ وردت علينا البشرى ، ويالها من بشرى !

هي دعوة رسمية من الجبهة بأن أغادر الجزائر فورا دون انتظار ، وأن ألتحق بالقاهرة لأكون ضمن الوفد الخارجي حيث أتولى النضال الى جانب اخوان أطهار ، بالقلم وباللسان وببذل المساعي المختلفة ، لنشر الدعوة وجمع المال وارسال السلاح . ولقد قال لي يومئذ الأخ الشهيد عبان رمضان ، اننا لنشعر بنقص كبير بين صفوف وفدنا الخارجي فسر اليهم بأسرع ما يمكن ولتعمر ذلك الفراغ واعلم أن حظك فى الجهاد هنالك ، يعادل أو يفوق حظك لو أنك عمدت الى جبل وحملت بين اخوانك السلاح . السلاح يحمله كل المجاهدين ، أما القلم وأما الكلمة وأما المسعى الحميد ، فلا يقوم بأعبائها الا الندرة من المجاهدين .

قبلت عبان رمضان ودموعي تسيل لأول مرة على ما أذكر مدرارا . وقلت له ونحن فى بيت الأخ المجاهد النبيل عباس التركي ، لقد أنقذت حياتي وفتحت أمامي بابا سألجه بحول الله وسأعمره على خير ما يكون .

وجاء من القاهرة بعيد ذلك أخي المجاهد الشيخ العباس ابن الشيخ الحسين ، يقول لي أن الوفد هنالك ينتظر قدومي بفارغ صبر . واستحثني على الاسراع وقال أنه سيكون معي يوم سفري ، وان علي أن أمهد السبيل وأن أختار الطريق ، وأن أنتهج الخطة التي توصلنا الى ساحل السلامة ، حيث نقوم بواجبنا على الوجه الأكمل بحول الله .

جمعت مجلس العلماء وكل رجاله من الأمناء الأطهار المخلصين ، الذين يضطلع كل واحد منهم بمهمة سرية للجبهة ، وأحطتهم علما بالأمر ، فكان أول المتكلمين هو الشيخ العربي التبسي رحمه الله وقال والدمع يترقرق بين جفنيه : والله لو استطعت الزغاريد كالنساء لانطلق صوتي مدويا الى أن يبلغ الشارع . هذا شرف كبير لك ولجمعية العلماء ، ولكل الاخوان الفضلاء الأطهار الذين ترد علينا كل يوم أنباؤهم ، وهم بين طريد وشهيد ، اذهب فمعك رضوان الله ، وعواطف اخوانك وحب أمتك . واعلم أنك تجاهد هنالك باسم الاسلام والعروبة والوطن ، وانك لا تطأ موطئا يغيظ الكفار الا كتب لك به عمل صالح . وتكلم الشيخ الجسور محمد خير الدين ، متأثرا فأبدع وأمتع ، وخرجت من عندهم أبشر أم اسلام ، بما أمتعني به الله من موطن جديد للنضال المثمر ، واني سأترك لها — مع الله — محمد اسلام ليقوم بكل الواجبات نحو بيت به سيدة وثلاث بنات يتعلمن فى المدارس فابتأست بالفراق الذي قلت لها أنه سيكون طويلا ، وسعدت بخطة الكفاح التي أسندت لزوجها وتفاءلت بها تفاؤلا عظيما .

الحرب مستعرة الأوار . وأنا فى موضع ترمقني فيه كل الأبصار . فهل الى سفر من سبيل ؟ اجتمعت مع الأخ المجاهد عبان رمضان فى منزل الأخ الشيخ المجاهد محمد خير الدين ، وتداولنا الحديث مطولا حول السفر والخطة وما ترجوه الجبهة مني فى القاهرة وفى كل مكان أحل به . واتفقنا على أن يكون سفري على طريق باريس ، متعللا بمرض أنسبه لنفسي ، أو أنسبه لزوجي ، فاذا ما حللت هنالك دبرت طريقة لاختراق الحاجز الكثيف الذي وضعته فرنسا حول حدودها لتمنع تسرب الجزائريين .

استعنت بصهري الطبيب النابغة ، الدكتور مولاى أحمد مريوة ، وأطلعته على جلية الأمر ، فدبر لي خطة ماهرة قوامها عدد من الرسوم الطبية المختلفة ، والتقارير الملفقة عن صحة زوجي أم اسلام ، لنبعث بها وبصفة مستعجلة ، كي يفحصها الدكتور الكبير «شين» ويعلمها هل هي فى حاجة أكيدة لعملية جراحية مستعجلة أم تكتفي مؤقتا بعلاج يصفه لها . وتمارضت السيدة الفاضلة وأتقنت دورها كما يجب . وما أن جمعت الصور والتقارير حتى بادرت بأخذ الاذن بالسفر لباريس ، من أجل استشارة طبية مستعجلة وامتيطت صهوة طائرة وضعتنا بعد ساعتين بمطار أورلي وقصدت توا الى فندق «سان لازار» حيث كان عدد من جواسيس فرنسا وأنذال المتعاونين معها يصولون ويجولون ، ويجتمعون كل عشية حول موائد شراب غير طهور ، تصحبهم بعض المبتذلات الجميلات .

وسرت رعشة فى فرائص القوم عند رؤيتي . وتوجسوا من وجودي شرا . لكنني كنت أطيل الحديث مع محافظ الفندق ــ وهو من المخبرين الماهرين ــ وأسأله عمن يعرف من كبار الأطباء المختصين بأمراض الكبد والأمعاء وأظهر له تجهمي الشديد ، وخوفي من عقبى المرض الذي ألم بحليلتي . وخاطبت من عنده السيد الدكتور « شين »

لآخذ موعدا أطلعه فيه على ما بين يدي من رسوم وتقارير . وعين لي الأستاذ المبرز موعدا . وما عتم المحافظ أن أطلع الجماعة على خبري ، فتهللت وجوههم وانبسطت أساريرهم ، وعادوا الى ما كانوا عليه من شراب واستهتار لا يليقان الا بالسفلة الأنذال .

أما الشيخ العباس فقد سبقني لباريس واتفقنا على أن نلتقي فى مكان معين . والتقينا .

وصلت باريس يوم الجمعة السادس عشر من مارس عام 1956 . وقضيت هنالك وأنا أناور رجال المخابرات الذين كانوا يحيطون بي فراشا مبثوثا . أكثر من عشرة أيام . أتردد خلالها على مختلف الأطباء مما أقنع الجاسوسية الفرنسية بأن قضية المرض هي التي تشغل بالي وتستأثر بكل جهودي . ثم كنت — من أجل الترويح عن زوجتي المريضة — أغشى مختلف المسارح ، وديار السينما ، وأشيع لدى الوكيل ولدى عمال الفندق أنني أشعر بأزمة قلبية حادة ، وانني لا أستطيع الرجوع الى بلادي بواسطة الطائرة ، فزوجتي ستعود وحدها أما أنا فذاهب الى مرسيليا لأمتطي منها سفينة « الترانز اطلنتيك » الى الجزائر صحبة صديقي الشيخ العباس . وأرسلت الى مركز الولاية بباريس من أخذ لي الاذن الكتابي بالرجوع للجزائر .

فى الثلاثين من مارس ودعت الزوجة الفاضلة المقدامة ، فأخذت الى الجزائر طائرتها بعد أن ودعتها بصوت مسموع وتواعدنا على أن تنتظرني فى الجزائر يوم الجمعة المقبل . وذرفت دمعة صحبتها ابتسامة اذ كانت تعلم أن لا لقاء الا بعد ما لا يقل عن سنتين ،، ان كان هنالك لقاء ،، وامتطيت صحبة صديقي قطار مرسيليا السريع فوصلناها ليلا . ووضعنا فى فندق متواضع أثقالنا .

من الغد . ذهبت مع الشيخ العباس الى مقر شركة السفن ، وعيون البوليس السري تتبعنا بصفة خالها سرية . انما كانت فى حقيقة أمرها علنية مكشوفة . وحجزنا غرفة من الدرجة الثانية ليوم الثامن من

أفريل . وتواعدنا على أن ندفع أجرة الغرفة ذات الفراشين ليلة السفر .

تجولنا في مدينة مرسيليا وارتدنا مسارحها وديار عرض الشرائط السينمائية . وتفضل علينا أحد أصحابنا هنالك — وكان بعيدا عن السياسة وعن الجبهة — بسيارة كنا نرتاد بها جهات مرسيليا فجلنا خلال الساحل الزاهر ، ووصلنا طولون وكنا نترك في غرفة الفندق حقيبتنا ونضع في محفظة سفر أهم ما لدينا من ثياب ومتاع . وقصدنا الحد الطلياني وأردنا الدخول بواسطة ما لدينا من أوراق تعريف . فاذا بحارس الحدود يقول : هذه لا تكفي للجزائريين . فمنذ يومين اتصلنا بأمر يقتضي أن لا يخترق حدود فرنسا الى بلاد أجنبية من الجزائريين ، الا من كان يحمل اذنا خاصا فأسقط في أيدينا . ورجعنا الى مرسيليا نجر ذيول الخيبة .

ثم قلنا لصاحب الفندق : اننا سنقضي في مدينة نيس يومين ، ونرجع له في اليوم السابع من أفريل كي نبحر من الغد الى الجزائر .

وبقينا في نيس يومين . كأننا من غلاة السواحين . وأعجبنا بما فيها من نظام وجمال وحمامات بحر ، ومتنزه الانكليز . وعلمت وأنا أمر بمكتب صغير لشركة الطيران السويسرية أن طائرة تقلع يومها على الساعة الواحدة والنصف الى جنيف . فقلت لصاحبي : ألا نجرب حظنا معها ، فعسى ولعل ..

ودخلت أسأل ببساطة : هل عندك يا آنستي مقعدان الى جنيف من الدرجة الثانية ؟ ولم يكن فصل السياحة قد أقبل ، والمسافرون قلة . فقالت نعم . قلت وقد سحبت بطاقة تعريفي وطلبت بطاقة صديقي : اذن مقعدان من فضلك ، فألقت على البطاقتين نظرة عابرة وسجلت رقميهما وردتهما الي بوداعة . ثم ناولتني البطاقتين وتقاضت الثمن ، وخرجنا من عندها ولم يبق بيننا وبين ركوب الطائرة الا ساعة ونصف ساعة . ومن حسن حظنا أن المسافة بين المكتب وبين فندقنا لم تكن طويلة ،

فوصلنا ودفعنا ما علينا ، وقلنا اننا سنرجع لمرسيليا من أجل الرجوع الى الجزائر ، وأخذنا أمتعتنا وأسرعنا بواسطة تاكسي للمطار .

لم يبق على قيام الطائرة الا ساعة واحدة . وجرت الأمور بصفة طبيعية ترعاها يد الله وتصونها عنايته . لم يسألنا أحد عن اذن خاص ، لم يعترض طريقنا أحد بل ذهبنا بوداعة واطمئنان الى الطائرة وصعدنا سلمها ، وأخذنا مقاعدنا ولم يكن فيها الا نحو عشرين انسانا وتحركت ثم علت ، ثم طارت وأخذت طريقها ونحن نتوقع شيئا لم يحدث ، وانتظرنا اذنا مضادا لها لم يقع ، وكان العباس يقول لي بلهجة متوترة : هل أنت واثق أنها لجنيف ؟ أليست هي لباريس فأقول له فى شيء من الانفعال لا أستطيع اخفاءه : هون عليك يا أخي لقد نجونا والحمد لله .

وحطت الطائرة بمطار جنيف الضخم . وأسرعنا بالخروج ووجدنا أنفسنا فى أرض سويسرية محايدة ، لا امرة لفرنسا عليها ، وتنفسنا الهواء الطلق ، فى أرض حرة بين رجال لم يستعبدوا انسانا ولم يستعبدهم انسان . وصدقوني اذا ما قلت لكم اننا قضينا ليلتئذ أجمل ليالي الحياة ، ما كان يكدرها الا تذكر حالة الوطن ، ومآسي الاستعمار ، وقسوة وفظاعة جيش الاحتلال .

حسبت النقود التي بقيت لدي مما تسلمته من أمانة مال جمعية العلماء ، فاذا هو مقدار قد أصبح زهيدا . وقلت لصاحبي لنمكث فى هذا الفندق (كريلتى) فهو من أحسن فنادق جنيف موقعا وأرخصها ثمنا .. ومن الغد اتصلت بمكتب الطيران السويسري . وأخذت منه مواعيد السفر للقاهرة وأجرة الركوب . فوضعت تلك الأجرة فى ظرف خاص حتى لا تعتدي عليه أيدينا . وقلت لصاحبي ان ما بقي لدينا يجب أن يكفينا لطعامنا ومنامنا ، حتى اذا ما نضب لو طالت المدة ، بقينا على الطوى والتحفنا الغبراء دون مذلة وهوان .

ثم سرنا الى العاصمة برن ، واتصلنا بسفارة الجمهورية المصرية ، واذا بها رجل من فضلاء الأكرمين أسرع فى امدادنا برخصتي سفر ،

وآشر عليهما بعد استشارة حكومة مصر . وخرجنا من عنده شاكرين والدنيا لا تكاد تسعنا من وفرة ما وسعنا من غبطة ومن سرور . ورجعنا الى جنيف والى نفس فندقنا المتواضع . وأسرعنا بحجز المقعدين على الطائرة ودفعت الثمن وكان قيام موعد الطائرة يوم الخميس 12 أفريل الذي هو أول أيام رمضان المبارك .

تدخل الشرطة السويسرية

بقي علينا يومان نقضيهما بجنيف نستجم خلالهما وننسى أوصاب الأيام السالفة ومرارة ساعاتها حتى اذا ما دخلنا القاهرة كنا مستعدين لمباشرة ما عظم من الأعمال .

لكننا وقد نهضنا صباحا ، وجدنا خلف باب الغرفة بطاقة دعوة رسمية من محافظة شرطة جنيف ، تحمل اسمي ، كما وجد الأخ العباس بطاقة شبيهة لها ، تحمل اسمه . وكان علينا أن نكون بمكتب الشرطة على الساعة العاشرة . ماذا ؟ أتسلك معنا شرطة سويسرا نفس مسلك شرطة فرنسا بالجزائر ؟ ذهبنا قبل الوصول الى دار الشرطة . نستقي أخبار الاخوة عباس فرحات وأحمد فرنسيس وقدور ساطور وقد وصلوا منذ يومين الى جنيف واجتمعنا بهم اجتماعا طويلا أخويا في ساحة مقهى عمومي . فاذا بهم قد اتصلوا بمثل ما اتصلنا به ، وكان عليهم كما كان علينا أن يتقدموا لمركز الشرطة على الساعة العاشرة .

دقت العاشرة ، وكنا جميعا بدار الشرطة . فخرج الينا الأعوان ينادوننا واحدا واحدا ، واستقل بكل واحد منا أحد مأموري الدار . وأخذ يسألنا الأسئلة التقليدية أولا : الاسم واللقب ومكان الولادة والعمل — وما أشبه ذلك ثم تصدى لصلب الموضوع فسألنا لماذا جئتم سويسرا ، وما هو موقفكم مما يجري الآن بالجزائر ، ولماذا قررتم عقد اجتماع عام في جنيف وأنتم تعلمون خطورة الوضع ، واننا لا نريد أن نقع في مشاكسة مع جارتنا فرنسا فليس ذلك من صالحنا ولا من صالحها . وان سفارة فرنسا قد احتجت على الاجتماع الذي عقدتموه بمقهى الرون ، واعتبرته خروجا منا عن سياسة الحياد .

قلت باختصار : أما موقفنا من الثورة بالجزائر فهو موقف كل جزائري على الاطلاق : نحن معها ، الا ما شذ ، ونؤيدها ونرجو من ورائها خيرا لم ننله بواسطة المذاكرات ولا الوعود الكاذبة . لكنني أنا وصديقي العباس ابن الشيخ الحسين من رجال جمعية العلماء المسلمين التي تنادي بالاصلاح الديني ونبذ الخرافات والأباطيل ، والرجوع الى حقيقة الاسلام . فلنا في هذا الحقل أعمالنا ، ولنا مدارسنا التي جاوز عددها 250 مدرسة ، ولنا صحافتنا ، ولنا مدارسنا الثانوية الكبرى . ونحن مسافران معا للقاهرة للمفاوضة مع رئيسنا الشيخ البشير الابراهيمي ، حول مناهج التعليم ، وزيادة عدد البعثات العلمية ، ومنهاج عقد اجتماع عام بمدينة الجزائر خلال شهر ماي المقبل .

أما ما ذكرتم من اجتماع عام عقدناه مع أفراد آخرين من رجال الجزائر فهذا مجرد ظن من رجال الشرطة . فقد اجتمعنا عرضا مع الجزائريين من علية القوم نحبهم ونجلهم وشربنا القهوة معا كما يفعل الأحباب . ثم ذهب كل منا لشأنه فلم يكن هنالك من اجتماع عام ولم تكن هناك مذاكرات .

ثم أخذ يحدثنا عن جمعية العلماء فشرحت له بافاضة منهاجها ، وأعمالها ودعوتها الاصلاحية الدينية ومطالبها . وقلت ختاما : اننا نسافر أنا وصديقي اليوم الى القاهرة على الساعة الخامسة . فقال وقد تهلل وجهه : اليوم ؟ قلت نعم وبسطت أمامه تذكرة السفر ، فارتاح لرؤيتها كأنني أزلت عن عاتقه عبئا ثقيلا ، فقال صحبتكما السلامة . وطلب الي امضاء المحضر الذي كتب عن ذلك التحري فتلوته ثم أمضيته وخرجت وملء وطابي سرور لا يستطيع أحد وصفه ، اذ أنني اعتقدت عند أول التحري أن فرنسا قد طالبت بارجاعنا اليها .

وسألنا أصدقاءنا بعد ذلك عن حقيقة ما جوبهوا به من أسئلة ، فكان كلام العباس ككلامي تماما ، وقد اتفقنا على الخطة قبل الذهاب . وتكلم بقية الجماعة منكرين بشدة ما نسب اليهم من اجتماع عام . وانتهى الأمر بسلام . وأجابت شرطة سويسرا الدوائر المسؤولة بأنه ليس هنالك من اجتماع سياسي عام ، بل انما هو مجرد لقاء أصحاب بطريقة عابرة وانتهى الأمر .